محاكمة

العلوي والخفاش

مصطفى الأنصاري

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الأنصاري، مصطفى محمد
محاكمة العلوي والخفاش./ مصطفى محمد الأنصاري.-
الرياض، ١٤٢٩هـ
١١٤ ص؛ ١٤ × ١٢سم
ردمك: ٩-٤١٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨
١- الأدب العربي - نقد ٢- الإسلام - دفع مطاعن
أ- العنوان
ديوي ٨١٠ ١٤٢٩/ ٧٠٤

رقم الإيداع: ١٤٢٩/ ٧٠٤
ردمك: ٩-٤١٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

إلـى الأخ حسـن العلوي الذي يرقـد لحظة كتابة هذه السـطور علـى السـرير الأبيض، وهـو يدفع ثمن مواقفه الشجاعة.

وإلى الزميل حسن مفتي (الخفاش الأسود) الذي صمـد على موقفه بالرغـم من مرارة جفاء بعض أصدقاء الأمس وخذلان النخب!

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٩
ما يعتذر منه ١١
هوناً ما ١٣
الجماهير البهت ١٧
النخب العاذلة والخاذلة ٢٢
حسن العلوي هيكل صدام وعاشق عمر ٣١
العرب باعوا (شيعتهم) بلا مقابل ٣٣
دم «صدام» في رقبة هؤلاء! ٣٩
مشروعي مقاومة «العجم»! ٤٢
كنت مع المشروع الأميركي! ٤٧
فقه «السيستاني» سني وليس شيعياً ٤٩
الصراع حين يكون على «العدو» .. لا معه! ٥٣
الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟! ٥٦
مساكين يبحثون عن «الجنة»! ٥٩
انتفض الملك عندما أبلغته رسالة الأميركيين ٦٢
كتابي أهدر دمي! ٦٩
دستور العراقي الحالي تشويه للفيدرالية ٧٢
القطيعة ستحاصر الشيعة العرب ٧٣
لو أعتُمد الانقلاب لربحت السنة والشيعة معاً ٧٧
(الخفاش الأسود) هتلر الساحات والسليط الساخر ٨٣

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
قصة العشق والاعتزال!	٨٦
الاعتزال الصعب	٨٨
مراحل وتحولات على الطريق	٩٣
الساحة مرحلة انتهت	٩٦
يد الصفح ممدودة لخصومي	٩٨
ودعت الأشباح؛ لأظهر باسمي وصورتي!	١٠٠
أفغانستان تجربة (خلابة)	١٠٣
قلت هذا ليس مكاني	١٠٥
أفغانستان أصبحت عاراً يلاحقنا	١١٠
قرار غير خاضع للمساومة	١١٢

obeikandl.com

مقدمة

هل أحتاج لتبرير إخـــراج «محاكمة العلوي والخفاش» إلى النور، والقـــراء المعنيـــون بالأمر، هاهم يلتهمون الرجلين حبـــاً وكرهاً؟ إنني لكثرة ما لمســـت مـــن تفاعلٍ مع حواري: هيكل صدام حســـن العلوي، وهتلر الســـاحات حســـن مفتي أو «الخفاش الأســـود»، قررت كشف النقاب عما لم ينشر من حديثهما، ووضعه مع الذي نشر على قارعة التاريخ وبين أيدي القراء.

كما أن ظاهرة «العلوي والخفـــاش» في حياتنا المعاصرة، أجدها جديرة بالنقاش، إلى جانب إفلاس الجماهير بالجملة في التعبير عن حب أو كـــره موزونين. ناهيك عن النخب التي تمعن في عذل وهجاء الخارجين عن حياضها، حتى إذا عادوا نبذتهم ﴿ **كَمَثَلِ الشَّـيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ** ﴾ (الحشر: ١٦).

مصطفى الأنصاري
«صحافي»
amustfa@hotmail.com

obeikandl.com

obeikandl.com

ما يعتذر منه

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

أدري أن الشخصية العراقية البارزة في الموالاة والمعارضة حسن العلوي، ربما يتأفف من وضعه في كفة، على التي تقابلها شخصية نكرة في رأيه، وشاب صغير بالنسبة إليه، يتردد تاريخه بين مسجد الفريان وقرى بيشاور، فمنتدى الساحة العربية. فيما هو يعد نفسه ويعتبره محبوه الكاتب والمثقف والمؤلف الذي كان رقماً صعباً أينما حلّ في العراق ولندن وسوريا والرياض.

وأدري أن إمام المصلين والحافظ لكتاب الله والساخر السليط حسن مفتي الذي فاخر في توضيح نشره بعد حواري معه في منتداه السابق بأنه يتقرب إلى الله بفضح مخالفيه ممن يصفهم بالعلمانيين والليبراليين «وهتك أستارهم والسخرية بهم وتسفيه أحلامهم، ومقارعتهم بالسنان واللسان»!!، ربما يستنكف من وضعه في سلة واحدة مع شيعي يفاخر بمذهبه وعلمانيته، مهما كان منصفاً وموضوعياً!

لا يغيــب عني ذلك حين قررت جمع الرجلين في دفة واحدة، ولو شئت لقلت: «إن المصادفة التي جعلت والديهما يطلقان عليهما اسماً واحداً والتي جمعتهما في (**دار العبيكان**) حين نشــرت للأول «عمر والتشــيع» وللثاني «انتحار حمار»، وفي صحيفة«الحياة» التي نشــر فيها حواري معهما (عام ٢٠٠٧)، هي نفسها التي قرنتهما هاهنا».

كم ســيكون ذلك مندوحة عن الوقوع في فخ النقاط المشتركة بين الحسنين، لولا أنني سأعده من داخلي هروباً لا أستسيغه.

أما النقاط المشــتركة بين حسن العلوي وحسن مفتي، فهي كثيرة غير أنني أكتفي بواحدة، هي التي دفعتني لوضعهما بين غلافين، من دون شخصيات كثيرة أجريت معها حوارات أطول وأكثر إثارة.

النقطة هي أن كليهما «كان في وســط مرعب، قرر الخروج منه نســبياً فمدّ يداً لمصافحة وســط جديد، قد لا يكون ثمن مصافحته بالضرورة الكفر بنبلاء الماضي وأشــقيائه على حدٍ ســواء». فليس معقــولاً أن يكفر العلــوي ببغداد ولا بأئمة أهــل البيت، ولا أن يقدم مفتي الشــوك لبعض أصدقائه الذيــن زرعوا في طريقه الورد، حتى بعد أن قرر الرحيل عنهم.

obeikandi.com

هوناً ما!

إن العبرة الأولى والثانية، وتعداداً حتى الألف من تحول الرجلين، كانت في حكمة سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما قال: «أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما». والعبرة الأكثر أهمية هي «كيف سيكون حسابنا يوم القيامة؟ وكيف سيقف الناس منا يوم الدين؟ وكيف سينقلب علينا الخلان والمصفقون إلى شهود يدينوننا يوم الدين؟! وإذا كان هذا اليوم وهو في الدنيا مُرّ وصعب! فكيف يوم الدين؟» كما يشير كاتب في المنتدى نفسه،عقّب على اعتزال «الخفاش» الكتابة فيه.

وكأني بهاجس الرجلين أكثر ما يكون حول الطريقة التي سيقابلان بها شخصاً كانا بالأمس قد أساءا إليه، خصوصاً مفتي، الذي لم يبرح المجتمع الذي يختار ضحاياه من بين أفراده أيام تفرده في الساحة بسلخ من ينتقيهم على طريقة أقرب إلى الشواء منها إلى النقد الموضوعي والتقويم المنهجي.

وفي أثناء طبخ مفتي قرار اعتزاله الساحات، والمنهج النقدي الذي كان يتبناه فيها، اتفقنا أنا وهو على أن أحدنا لو سلك منهجاً وسطاً في حبه وكرهه ومدحه ونقده، لما واجه حرجاً في التحول عن موقفه، إذ على قدر أخذ المرء بقيمة «العدل» الذي يفسر «الوسطية» يكون قدره من الحظوة باحترام المختلفين معه والمؤيدين، ويجد أذناً صاغية ممن أقبل عليهم بوجهه ويحظى بتفهم من ولاهم الأدبار.

وإذا كانت هذه المسألة في ظني محل اتفاق، فإن البشر جميعهم بطبعهم وجبلتهم معرضون لتغيير مواقفهم، وآرائهم، وتوجهاتهم وولائهم، ومعتقداتهم أحياناً، ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ (الرعد: ٣٩)، فإن العاصم من الحرج أمام الله والخليقة هو سلوك العدل والوسط فيما يأتي المرء وما يذر ما استطاع، وإلا فإن الثبات على رأي أو توجه ما، فضلاً عن كونه مستحيلاً في الغالب، هو ليس بالضرورة أن يكون خلقاً رفيعاً، أو فعلاً سديداً.

وأي مجتمع أو جمهور ذلك الذي يتفهم مقاصد شخص، يدبج فيه المدائح، ويتلو فيه الشعر والنثر، ويصم آذانه عن مثالبه، فيما يفتح كل مخارج قلبه وجسده لمحاسنه، ويبحث لزلاته عن التأويل الحسن، حتى إذا عنّ له ذلك، نكص على عقبيه، نقضاً للمديح بالهجاء، وللمحاسن بالمثالب. أي بشر مجتمعاً كان أو دولة أو فرداً يستوعب هذا أو يعيه؟

وكم ستحتاج قِبلة المتطرف في حبه أو كرهه الجديدة، من حلم حتى تصفح عن شخص أوسعها ذماً وقدحاً، وجنى عليها قولاً وفعلاً، وجعلها مثل السوء؟

بل أي جهة ستصدق ولاء أو صدق شخص تلك سجاياه، حتى لو لم تكن نالها من تركته نصيب؟

وكم قلباً سيتغلب على أضغانه ويحتضن شخصاً كان أبغض إليه من الشيطان بالأمس، جراء ظلمه ومقته؟ ومن ذا الذي يتفهم ذرائع خليله حين يقرر هجره والتحول بقلبه وجسده إلى جبهة أخرى؟ كمثل زوج صارح زوجته على حين غرة بأن عهدها ولّى إلى غير رجعة، وأن أخرى غيرها «حلت مكانها أو أبلغ، من الجسد والقلب الحنون»، على حد قول الآخر:

محا حبها حبّ من كنّ قبلها ... وحلت مكاناً لم يكن حُلّ من قبل!

وفي القديم والحديث نجد قصصاً، ترصد حالة التوتر والقلق التي تغشى نفراً قرروا تغيير مواقفهم طوعاً أو كرهاً، ولكن لأن تلك المواقف كانت موغلة في الإسراف واجهوا عقبات في سبيل إقناع الآخرين بصدق نواياهم، أو الصفح عن ماضيهم. وكثيراً ما احتاج الشعراء الذين يقعون في مثل هذا الفخ إلى معجزة بيانية تستنزل رحمة من يملك أخذهم بذنوبهم، كما حدث مع الصحابي الجليل كعب بن زهير، لما هجا النبي ﷺ وهرب، فلما ضاقت به الأرجاء، جاء

معتذراً في قصيدة، عُدت من عيون الشعر العربي، كان ثمنها أن عفا عنه النبي الحليم ﷺ.

وهي مواطن كما تضطرب فيها أجساد المعتذرين خوفاً ورهبة من الاقتصاص، تهتز فيها قلوب الكرام حلماً وعفواً، إذ كانت العرب تعيب أخذ المذنب المعتذر بما مضى. وفي التنزيل: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ** ﴾ (المائدة: ٩٥)، وفي الحديث: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

obeikandl.com

الجماهير البهت

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾

(القيامة: ١، ٢)

إذا كان الرجل الرمز أو الصنم أو المتبوع، لا فرق، يحتاج إلى لزوم الوسطية في حال المعارضة والموالاة، تحسباً لغير الزمان وتركاً لخط الرجعة حسب التعبير المستهلك، هذا بغض النظر عن المُثل والخوف من الله، فإن حاجة الجماهير إلى القصد في اتباع المخلوقين والانبهار بكراماتهم وفتوحاتهم أشد وآكد.

ولكن المؤسف أنه رغم التسليم بوجود شرائح تشذ عن القاعدة، فإن معظم الجماهير الإسلامية والعربية، هي إلى الصفة التي نعت عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بها شرائح من اليهود أقرب وألصق، وكان من خبره ما روى بن إسحاق أن ابن سلام قال: «لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نعرف، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة فلما سمعت خبر

قدوم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت، قال، فقلت لها: أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به، فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع الساعة نفسها؟ قال فقلت لها: نعم قال فقالت: فذاك إذن. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.

قال وكتمت إسلامي من يهود ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يارسول الله، إن يهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني قال فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه ثم قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا كذبت ثم واقعوا بي، قال فقلت: يا رسول الله ﷺ ألم أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور، قال فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها».

والرجـــلان اللذان نحن بصدد الحديث عنهما، ما إن أعلنا موقفاً مغايراً للذي عرفا به أول ظهور الأول مدافعاً عن الشـــيعة بشراسة، وبراعة الثاني في رشق وسلخ ضحاياه غير راع فيهم إلاً ولا ذمة، حتى خرج القوم البهت من الفريقين يلوون ألسنتهم، ويقيمون مآتم العزاء، وينشـــرون صحائف سيئات رمزيهما. (نقرة بحث باسم أحد الرجلين كافية لإظهار طوفان من ذلك).

إن هـــذه الجماهيـــر لا تخلو من حالتين: إمـــا أن تكون واثقة في رمزها فتطيعه في المنشـــط والمكره والعســـر واليسر، وتتبع مرشدها الروحـــي الذي رضيت به بعـــد تمحيص واختبـــار، إلا أن ترى كفراً بواحـــاً، لها عليه من الله برهان، وإما أن تكون هذه الجماهير كقطيع من الغنم يتبع راعيها ما أنشد لها الحداء، وهش لها بعصاه، وأوردها مواردهـــا التي اعتـــادت، وفي مضاربها التي ألفـــت، وإلا هجت عنه رافعة أصواتها بثغاء ورغاء، هو في حقيقته لعن وشتم وقذف وتخوين، ﴿ **وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ (الإسراء: ٤٤).

ويســـألونك هل تريد من الجماهيـــر أن ترى العصمة في مخلوق وأن تجعله شريكاً للإله، تتبعه أنى اتجه؟ فأقول: تعالى الله عما يقول الجاهلـــون علواً كبيراً، ولكن أي تأليه أعظم من أن تصفق لمخلوق من دون قيد ســـوى أن يجاري رغباتك؟ فما هـــو إلا أن يحيد عن هواك الـــذي اتخذته إلهاً حتى تكتب فيه معلقة بن كلثوم، وتقطع فيه بفتوى مالك في الخمر.

ولعمري لئن كانت تراجعات أو تحولات أو إعلان مواقف - سمها ما شئت - من هذا القبيل كواشف لسذاجة قطعان من الجماهير، فإنها تطرح بالقدر نفسه سؤالاً، كثيراً ما تردد شكاً: من يقود الآخر، الجماهير أم رموزها؟

بينما الجمهور الواعي يفترض منه أن يحيط قائده بعلامات التعجب، إن ظل جامداً في عالم متغير وسريع، بلا تطور أو تجديد، أو تحول. كما أن السيد الملهم خليق به أن يشك في مريدين لم يسمع يوماً عدا هتافهم» أنت في قلوبنا، وتباً لأعدائك»!

فالنفس اللوامة التي تلفح الضمير، وتوقظ المرء من الغفلة والشطط، لولا شأنها العلي عند المولى، ونفعها لصاحبها ومن حوله، لما أقسم الله بها مقرونة بيوم عظيم يقوم الناس فيه لرب العالمين، ويختل فيه ميزان الكون، وتضع الحوامل أثقالها، مثلما يتبرأ الآلهة من معبوديهم، والأصنام من ناحتيها، بل الشيطان أيضاً من كل أولئك. ملقياً خطبة الحكمة التي يرددها المتبوعون اليوم للتابعين: ﴿ **فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم** ﴾ (إبراهيم: ٢٢). «هل أحد قال لكم: صفقوا لي»؟

إن مراجعة النفس، ظاهرة إخلاص. ونقد التابع والتلميذ للرمز أو الشيخ المتبوع ليس جرماً، بل هو عين النصح والصدق والموالاة.

لكن العار أن تكون المراجعة طلاء تقليدياً، يخفي من ورائه مآرب سيئة، وعيوباً رديئة، وتصدعات في الضمير والمبادئ، أو صفقة غير أخلاقية تفوح منها رائحة الخديعة والاسترزاق.

والجرم أن يكون النقد تجريحاً وشـــتائم وطعناً في الظهر، وكيلاً للهجاء، وتنفيساً عن الضغينة، والفحشاء من القول والزور.

obeikandl.com

النخب العاذلة والخاذلة

«كَيَدٍ من خلالِ الموج مُدَّت لغريق»[1].

ليس عاراً أشـــد من ترك الإنسان أخاه، وهو يصارع الموت ويجود بنفسه، ثم يتأخر عن مدّ يد الرحمة إليه، إنقاذاً وإسعافاً. وليس أكرم عند الله من نفس أحيت نفساً، وعاهدتها بالرعاية، حتى تستوي على سوقها.

ومع أن هذا المبدأ كان واقعاً بدهياً بين كل الأمم والحضارات، إلا أن تشريعات الإســـلام ضربت فيه المثل الأعلى، مثلما كان للمسلمين في شـــتى العصور الكعب الأعلى في التكاتـــف والتراحم والتعاطف فيمـــا بينهم، مع تفاوت على قدر تطبيقهـــم لتعاليم دينهم التي تنص على أن «المســـلم أخو المســـلم لا يسلمه ولا يخذله». ومن هذا المنطلق كان لا بـــد من التثريـــب على أي تقصير في هذا الجانب، الذي بلغت أهميته مكانة عالية، جعلت بعض الصحابة يستثقل اتفاق «الحديبية» في السنة السابعة من الهجرة، لما كان أحد بنوده يتضمن أن المسلمين في المدينة لا يأوون أي شخص يأتيهم من مكة مسلماً! حتى دفع ذلك عمـــر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى القول الذي قال إنه عمل لتكفيره أعمالاً: لماذا نُعطى الدنية في ديننا؟.

(١) هذا جـــزء من بيت في قصيدة (الأطلال) لإبراهيم ناجي، والبيت: ويد تمتد نحوي كيد.. من خلال الموج مدت لغريق.

لا أريد أن أخوض في مسألة يؤمن بها القاصي والداني، ولكن أردت منها الولوج إلى جانب منها أخطر، لم يعد فقهاء اليوم ناهيك عمن عداهم يمرّ به إلا على استحياء، وهي صنف «المؤلفة قلوبهم»، الذي لم أسمع، وأزعم أنني متابع جيد للخطاب الإسلامي في السعودية للحديث عنه أي ذكر، فضلاً عن أن تنشأ مؤسسة خيرية ذلك مجالها. بل إن مكاتب الجاليات ذات التجربة الرائدة في المملكة، يرتكز معظم جهدها في إقناع الناس بالدخول في الإسلام، من دون أن تهتم كثيراً برعايتهم بعد الدخول فيه، إلا في شكل متواضع لا يتجاوز رحلة برية أو عمرة أو حج. هل أحتاج للتذكير بأن النبي أعطى صفوان بن أمية واديا من الغنم والإبل، والعباس بن مرداس مائة ناقة؟! وكل الذي نسمعه من الناشطين في تلك المكاتب وقد كتبنا عشرات التقارير عنها، أن موازنتها تتلقاها من تبرعات المحسنين.

أين ذهب مصرف المؤلفة قلوبهم؟ هل ألغي أم نسخ؟

ما يتعلق بهذا الجانب كان جملة معترضة، أو إن شئت فقل هامشاً، أما المتن، فهو أن الله -عز وجل- لم ينص في القرآن على «المؤلفة قلوبهم» كأحد مصارف الزكاة عبثاً، بل لمغزى إلهي حكيم، يعني في بعضه أن الدعم المالي ومثله التشجيع المعنوي، يكسب الإسلام ولاء أناس لم تذعن قلوبهم له بالكلية. كما أن بوسعنا القول: إن المال يمكن أن يلعب دوراً شريفاً غير مشبوه في توجيه إمكانات معطلة أو مسخرة فيما يضر أو لا يفيد، إلى ما هو أفضل وأقوم.

وترد هاهنا إشكالات عدة، أولها: هل الإسلام في حاجة إلى قوم يتقــوى بهم، وهم عنه معرضون، خصوصــاً بعد أن قوي عوده وغدا منتشراً في الأرجاء؟

والإجابة عنه: إن هذا قول عطّل به بعض الفقهاء مصرف المؤلفة قلوبهم[1]، ولكن الإسلام اليوم أضعف من الغداة التي تألف فيها النبي ﷺ صفوان والعباس بن مرداس. كما أن من المســلمين اليوم أباً عن جــد من هو أحوج إلى التأليف من صفوان بن أمية، وحتى في العهد النبــوي جرى تعزيز إســلام قوم لم يتمكن الإيمان مــن قلوبهم، عن طريق تأليفهم[2].

وهل التأليف يكون بالورقة الزرقاء وحدها؟

بل للتأليف صور لا تنتهــي، وبينها في العهد النبوي إقبال النبي ﷺ بحديثه على قوم ليســوا خياراً يتألفهــم بذلك. وتعظيمه وجهاء القبائل التي تفد إليه تأليفاً لهم ولقومهم. فأي شيء يترك لدى المرء شعوراً بالسرور يمكن أن يعدّ تأليفاً.

ولكن التأليف لمن يخشى على إسلامه، فهل للتأليف معنى بعد أن غدا الإسلام راسخاً في نفس الإنسان؟

(١) لتفصيل هذه المســألة: انظر تفســير ابن كثير، عند تأويل آية الصدقات من سورة التوبة. ج٢، ص٤٨١.

(٢) ذكــر ابن كثير أن المؤلفة قلوبهم أقســام، منهم من يعطى ليســلم، ومنهم من يعطى ليحســن إسلامه ويثبت قلبه، ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظراته، ومنهم مــن يعطى ليجبي الصدقات ممــن يليه أو ليدفع عن حوزة المســلمين الضرر من أطراف البلاد. المصدر السابق، ج٢، ص٤٨١.

من الذي يشك في أن «أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ... فطالما استعبد الإنسان إحسان»! وفي أن الكرام من الناس يكسب إلفهم ومودتهم بموقف يسير وكلمة طيبة، «وما قتل الأحرار كالعفو عنهمُ... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا».

أليس هذا بالتعبير المعاصر يعني شراء ذمم الناس... وهل يرضى كريم ببيع ضميره بحفنة من الدولارات؟

رغم ما في هذه الصورة من المثالية التي قلّ ما تتحقق، فإن الكاتبة السعودية جهير المساعد تقول: «الفرق بين الاستثمار والاستغلال، كالفرق بين الهدية والرشوة»، كذلك يمكننا إن وضعنا الشيء في موضعه أن نعين أخانا وصديقنا وأهلنا وأقاربنا وجميع من يطرأ على أذهاننا، بطريقة تحفظ له كرامته، وتُكسبنا وده وإخلاصه ومحبته، تلقائياً، أو على الأقل تقينا شره!

وتسألني عن الإخلاص والولاء، أيشترى بالدينار والدرهم حقا؟ فأجزم فوراً: قطعاً وبتاتاً، لا، على الأقل في حد رأيي، فمن باعك ولاءه بدينار، غداً إن وجد من يشتريه منه بدينارين لم يتردد، ولكن فرقاً كبيراً كالذي بين السروال والعمامة، بين مدّ اليد لمن معك في الخندق والمبدأ، ولكنه في حاجة إلى من يساعده، وبين من يضع مواقفه في سوق النخاسة يبيعها لمن يدفع أكثر. مع أن مسلماً روى في صحيحه عن صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي شهد حنيناً مع المسلمين مشركاً أنه قال: «أعطاني رسول الله ﷺ يوم

حنـــين وإنه لأبغض الناس إلي، فمـــا زال يعطيني حتى صار أحب الناس إلي»[1].

وإن نســـيتَ صديقي، فلا تنس أنه لو يســـتغني عن التأليف قوم لقوتهم ومنعتهم لما قدمت دولة مثل أميركا الورقة الزرقاء بيد، والقوة الخشـــنة بيد أخرى، بل ما ركّعت قومـــك إلا بهذه وتلك، ولذلك دوماً يردد خادم الحرمين الشـــريفين الملك عبد اللـــه بن عبد العزيز على وجه الاعتزاز أن الســـعودية لا فضل لأحـــد عليها عدا الله عز وجل وأبناءها، في إشـــارة إلى أنها إذن حرة فـــي قرارها، وليس لأحد يدٌ تكافئه عليها، محاباة وطمعاً.

إن الشـــخص الذي ترك منهجاً أو فكراً غير ســـديد وأقبل على المجتمع أو المجموعة أو الدولة بقلبه وجســـده، يحتاج إلى حضن أدفأ وعناية أكبر من تلك التي يجدها السابقون الأولون في سلامة المنهج والنيـــات والمقاصـــد. ويكفي على هذا الصعيد الإشـــارة إلى حرمان النبي ﷺ بعد غزوة حنين الســـابقين الأولين من المهاجرين والأنصار غنائـــم جاد بها على غيرهم، فكان من الأنصار مَن رضي وامتثل ومَنْ لم يرضَ، حتى كشـــف لهم النبي ﷺ مقصده وغايته، فقال معاتباً: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشـــاة والبعير وتذهبون برســـول الله إلى رحالكم»؟

ومن المؤسف جداً أنه على المستوى الوطني، لا تجد ذاك التكاتف المثالي بين أي محيط أو طائفة في الجملة، مع نماذج مشرفة لا تنكر،

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

حتــى إن التيار الليبرالي الذي يتحــدث البعض عن خططه وأهدافه وتكتلاته، اتهم بعــض أفراده البعض الآخر بأنه متذبذب مهادن غير واضح المبدأ والهدف[1]. وقلّ أن تجد فيه مناصرة منظمة تحت أثواب «المهنيــة» أو الأعــراف، أو حتى الأخلاق، كما جســدت بمرارة حلقة (ليبراليون... ولكن) في مسلسل طاش ما طاش الشهير في ٢٠٠٧م.

أمــا التيار الإســلامي (لا أقصــد المتطرفين) الذي نســمع عن تنظيماته ودقة ترتيباته بما لا يرقى إليه حتى «الموساد»، ما رأيت مثله خذلانــاً لبعضه، بل إنك لتعجب من حربه لنفســه، وهدمه بإخلاص لجهوده، حتى بلغ ذلك من الداعية سلمان العودة مبلغاً، جعله ينصرف عن الــردود إلى ما هو أبقى وأنقى، إذ يراها «مضيعة، دعها لغيرك، ليس كل ما تقولــه أنت صحيح، ولا كل ما يقوله الآخرون خطأ، لكن دع عنك المهاترات والتقاذف..

قــال لي أحدهم يومــاً: لماذا لا ترد على فــلان الذي تناولك في الجريدة.. فقلت له: أنا ســائر في طريقي وقد اخترت ألا أتشــاغل بهــذا.. لكن هبنــي رددت عليه ثم رد هو عليّ هل ســأقطع أعمالي البناءة وأتفرغ لمعركة الردود؟ أم سأنقطع وأتوقف فيبدو وكأنه غلبني وخصمني؟!

ثم حدثني ماذا بقي لدينا الآن من آثار المعارك الطويلة التي جرت قبل ثلاثين أو أربعين سنة، فضلاً عن ثلاث مئة أو أربع مئة سنة»[2].

(١) نادين البدير، جريدة الوطن، عدد ١٩١٧ في ٢٧ ذي القعدة ١٤٢٦هـ.
(٢) سلمان العودة، موقع الإسلام اليوم، في تاريخ ١٤٢٧/٦/٢٥هـ.

ولو خضت في سـرد نماذج من هذا المحور تحديداً لغدا سـفراً وحده!

وما رأيت أسـتاذي عضو مجلس الشـورى الدكتـور عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان يتضجر من شـيء ما ضجر من تخاذل أهل الخير والصلاح والتقوى في دعم بعضهم، ومن يسـير على طريقهم، والتأخر في كسـب الناس أياً كان انتماؤهم، والانفتاح على المخالفين لهم وحسن الظن بهم.

تأليف الحسنين!

إننـي بهذا الاسـتطراد الطويل لا أريد أن أنتهي إلى أن حسـن العلوي وحسـن مفتي يحتاجان إلى مـن يتألفهما، ولكنني أقول: أين أولئك الذين ملؤوا آذاننا ضجيجاً وهم يبكون تطرف الشيعة وشتمهم الصديقين؟ وأين أولئك الذين ألقوا الشيعة في سلة مهملات واحدة، وظنـوا أن لا خيـر فيهم أجمعين، وأقنعونا دهراً بأن انتماء الشـيعة العـرب لأوطانهم وقومهم العرب، لا يسـاوي مثقالاً أمـام انتمائهم الديني لإيران وقوميتها... وأن ليس في القوم رجل رشيد؟

وأيـن الذين بكوا حتى بلوا الثـرى، وتكاد قلوبهم تفيض من الدم حزناً على فتيانهم الذين غررت بهم «ساحات الظلام» كما ينعتونها؟

بـل أين قوم لم تجف دموعهم جزعـاً على طيش أقلام في ذلك المنتـدى، وصوروا الأمر باقعة ليس لها من راقعة، وغُمة ليس لها من دون الله كاشـفة. كل أولئك كان مشـروع العلوي السياسي واعتزال

openkanar.com

مفتي الســـاحات امتحاناً واختباراً لصدق ثورتهم. مع أنني لا أجادل في وجاهة تساؤلاتهم.

وإنني رغم إيماني التام بأن الحســـنين وأمثالهما، مهما ادعوا أن تصرفات الآخرين تجاههـــم لا تؤثر في مواقفهما إلا أنني أجزم بأن احتضانهما حساً ومعنى سيكون تثبيتاً للأقدام على الطريق المستقيم ومثـــلاً للآخرين. وكم للكلمة الطيبة من أثر تعجز عن تحقيقه «حمر النعم»، وهو ما يقر به مفتي نفسه حينما اعتبر خطاب العتاب الرقيق الـــذي تلقاه من الأمير محمد بن نايف، من أشـــد العوامل وقعاً على نفسه، في تحوله الجديد.

بقي لي أن أذكر أن اعتقاد أحدنا بأن شـــخصاً ما على خطأ، لا يبرر شـــرعاً وعرفاً، هضم حقه واســـتحلال عرضه، وملاحظة ذلك ضرورية ونحن نتحدث عن الأخ حســـن مفتي الذي كثيراً ما برر نيله مـــن عرض الناس بأنهـــم كانوا وكانوا، ويـــردد: «بيني وبينهم خلاف عقدي»، وعن عدد من الســـاخطين عليـــه الذين يكادون ينزعون عنه ثوب «الإسلام»، بدلاً من أن يغفروا له ويصفحوا.

وأنا بذلك لا أطالب حســـن ولا غيره بالكف عن نقد أي مخطئ، ولكن بـ «عدل وإنصاف»، وليس هناك من لا يستحق العدل، مهما بلغ خطؤه وجرمه، وهذه من إحدى المسلمات بين سائر الأمم والديانات، ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَـــنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُـــوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾ (المائدة: ٨).

كمـــا لا أطالب من قُدح فيهم أن يســـاووا بين من ناصبهم العداء والكره بالذي غمرهم بلطفه ومحبته، ولكن حتى في حال دفاعنا عن ديننا وأنفســـنا وانتزاع حقوقنـــا، يجب أن نلزم العدل في جميع ذلك، فالســـيئة جزاؤها الســـيئة، لا «السيئتان» كما يحدث من الفريقين، بـــل «من عفـــا وأصلح فأجره على الله». هل أحتاج للاســـتدراك بأن الدعـــوة للاحتفاء والوقـــوف إلى جانب كل من مدّ يـــداً «نظيفة»، لا يعني التصفيق لـ«الخب»، الذي لا يجوز أن ننســـاق وراء خداعه... أياً كان؟!

والتحيـــة لكل مـــن مدّ للرجلين يد المودة والصفـــح بعد أن أعلنا مواقفهما.

وأخيراً حاورت الرجلين حتى قال الأول (العلوي) بشـــهادة الزميل عبـــد العزيز الســـويد «رحماك، ذبحتني» وكاد مـــرات عدة يتميز من غيظ استشـــكالاتي، وحتى صارحني الثاني (مفتي) بأنك «أشـــد علي من ضباط التحقيق مدة ســـجني»، فلا أدري هل أشكرهما على سعة صدرهما أم أســـجل امتناني لصحيفة «الحياة» التي نشرت حوارهما، أو لدار (**العبيكان**) التي منحت للمادة الخلود بنشـــرها في كتاب... أم للقراء الذين أحسنوا بي وبالرجلين الظن. أسجل للجميع تقديري.

حسن العلوي

هيكل صدام وعاشق عمر

حسن نوري سلمان خلف العلوي.

- ولد في بغداد ضاحية الكرّادة عام ١٩٣٦م.

- درس في ثانوية الكرخ، وأتمّ السنة الأخيرة في الثانوية الشرقية في بغداد.

- أنهى دراسته في كلية الآداب - جامعة بغداد عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩.

- نشر أول مقال له في الصحف عام ١٩٥٤، وله كتابات قومية منذ عام ١٩٥٦.

- عمل في التنظيمات الأولى لحزب البعث منذ منتصف الخمسينيات، وخرج من الحزب، ولم يعمل في تنظيم أو تجمّع آخر.

- تحظى كتبه بدائرة انتشار واسعة، وكان العراقيون يستنسخون سراً أي كتاب له، فيما كان العثور على نسخة من كتبه سيقود صاحب المكتبة والقارئ إلى سجن طويل.

obeikandl.com

من كتبه السائرة:

- عبدالكريم قاسم رؤية بعد العشرين.
- الجواهري ديوان العصر.
- التأثيرات التركية في المشروع القومي.
- الشيعة والدولة القومية.
- دولة المنظمة السرية.
- أسوار الطين في عقدة الكويت.
- العراق الأميركي.
- عمر والتشيع.

obeikandl.com

العرب باعوا (شيعتهم) بلا مقابل!

أكـد المفكر الشـيعي الشـهير حسـن العلـوي أن المرحلة التي يعيشها العراق حالياً ستفضي إلى «الصومَلة»، ويعقبها تفكيك الكتل المتجانسة، الذي بدأ باختلاف السنة مع السنة، والشيعة مع الشيعة، والأكراد مع الأكراد.

وشـدّد العلوي، الذي صُنّف سـابقاً على أنه «هيكل صدام»، في حـوار مع «الحياة»، علـى أن إيران حالت دون اقتتال الشـيعة فيما بينهم، أما السنة فإنهم بدؤوا يتقاتلون، ويُتوقع المزيد.

وأبدى أسفه لتقديم الدول العربية شيعة العراق هدية إلى إيران، على الرغم من أن عددهم يماثل عدد خمس دول أعضاء في الجامعة العربية. أما البقية من الشـيعة العرب الذين استعصوا على المغازلة الإيرانية، فقال: إن تأثيرها «تحت الصفر».

لكن العلوي اعتبر كتابه «عمر والتشـيّع» الذي صدر حديثاً، يمثل مشـروعه السياسي لمحاولة إطفاء النيران المشتعلة في العراق، وبعث الشيعة العرب؛ ليجمعهم خطاب مستقل.

وامتدح شطارة إيران، وقال: إنها مكّنت لنفسها في العراق وليست أميركا التي مكّنت لها كما يتردد. وعاتب العرب السنة في تأخرهم عن القيام بدور مماثل، وإن تفهّم أن «فاقد الشيء لا يعطيه». وفيما يأتي نص الحوار معه:

تنبأت بأن العراق الأميركي قادم، وأن له رجالاً محددين، فصاروا كما توقعت، سؤالي: ماذا بقي حتى الآن مما توقعت حدوثه ولا تزال تجزم بقدومه؟

- بقيت (الصوملة)، وأعني بها أن يصبح العراق كالصومال، العراق الآن مثل كرة تتدحرج من جبل، ومن الصعوبة إيقاف الانهيار؛ لأنه لا توجد مصدات، كطوفان يجري من دون سدود ولا حواجز، فدائماً أنا أتوقع الأسوأ، نحن الآن في المرحلة الرابعة.

وهل هناك مرحلة خامسة تعقبها أيضاً؟

- تعقبها مرحلة تفكيك الكتل المتجانسة بعد حل الدولة وحل السلطة، ولو اكتفى الأميركيون بحل السلطة واستبدال سلطة عراقية عادلة بها لكان من الممكن أن يستقيم الأمر؛ لأن هناك عدم ارتياح من سلوك النظام العراقي السابق من جانب الجوار الإقليمي، بسبب تورطه في إشكالات كثيرة مع العرب والمسلمين على حد سواء، فحل السلطة لم يكن يحزن العرب أبداً، ولكن الذي فاجأ الناس هو حل الدولة، الذي حدث بالتزامن مع حل الشعب، أي تفكيك الشعب،

فكّكوا السلطة، وفكّكوا معها وحدة البلاد الوطنية، وساعدهم على ذلك أن الشعب نفسه غير متجانس، فالعراق يعاني من عدم التجانس الاجتماعي، فهو شعب تعددي، وهذا ليس خطراً في أصله، حتى إن شاعراً عراقياً شبّه العراق بالبستان، فيه مجموعة من الألوان والزهور ذات ألوان وروائح حلوة، لكن تحوّل هذه الألوان إلى رماح وإلى صواريخ يُحل الخطر، وهذا ما حدث.

وبأي شيء ينتهي نفق مرحلة الصوملة؟

- تنتهي إلى لا شيء. إلى (اللا دولة)، فنحن الآن في مدة ما بعد الفيديرالية أو ما تحتها، على غرار قول أدباء ما بعد الحداثة، فحتى الفيديرالية قد تُشكّل فيها كتل متجانسة كردية، وشيعية، وسنية، هذه الآن غير موجودة ما عدا الكتلة الكردية التي لا تزال متجانسة، وإن كنت أتوقع صداماً في المستقبل لأي سبب، فالكتلة السنية الآن في حال صدام في الأنبار.

كأنك تقول: إن النتيجة النهائية للعراق أن «لا حل»؟

- نعم لا حل للعراق؛ لأن عناصر الحل غير قائمة، كما أن إرادته أيضاً غير متوافرة، والتصالح الذي تسمع عنه مجرد استهلاك وكسب للوقت، إذ ليس ناتجاً من نية صادقة.

ولكن هل صوملة العراق شيء مخطط له أميركياً، أم حدث نتيجة لفشل غير متوقع؟

- فـي بعض الأحيان ليس شـرطاً أن يكون الناتج من جنس المقدمة، فنحن كما سـقطنا في فخ المؤامرة سقطنا في فخ آخر، وهو أنه لا مؤامرة، أنا أعتقد أن الواقع شـيء بـين الاثنين، إذا ما نزلنا قليلاً عن مصطلح المؤامرة ونفي المؤامرة، فسنجد شيئاً آخر اسمه خطط الدول. هـل يعقل أن دولة مثل أميركا لا يوجد لديها برنامج عمل. الشـركة الصغيرة تضع لها برنامجاً مرحليـاً أو أكثر من مرحليّ، فأميركا لها برنامج محدد، ومخطط خاص، أنت قد تسميه مؤامرة، لكني قد لا أسميه مؤامرة، هو خطط الدولة.

أفهـم مـن ذلـك أن أميـركا خططـت لأن يكـون العراق صومالاً، مثلاً؟

- أنـا لا أقول بهذا، ولكن قلـت لك: إن الناتج قد لا يكون من طبيعة المقدمـة، كيف أن بلداً تحتل بلداً وتخضعه لسـيطرتها، ثم تطالب دولـة أخرى بتقديم حل، إما لتأييد الاحتلال أو نفيه، فاسـتدعاء إيران من خلال خطاب بوش أخيراً، بأن تكف إيران أو سـورية عن كذا، معناه أن الاحتلال غير قادر على إدارة البلد.

ولكـن ثمـة دولاً تـرى أن أميركا هـي التي مكّنت لإيران في العراق؟

- لـم يحدث ذلك بالطريقة المباشـرة التي يتحـدث عنها بعضهم لا توجد دولة تحتل بلداً وتمكّن دولة أخرى منافسة فيه، فالأميركيون يعرفون أن إيران التي سـتدخل العراق هي المسلحة لا العزلاء، وهو

obeikandl.com

ما يتناقض مع مبدأ أميركا في بداية احتلال العراق، فهم لا يريدون إلا قوة واحدة، ولذلك سـرّحوا الجيش والأمن العراقيين، ورفضوا إقامة شـرطة عراقية وأمن عراقـي لمدة طويلة، على اعتبار أن أي سـلاح سيصطدم مع سلاحهم، وحتى هذه اللحظة هم يخشون أن يسلحوا قوات الداخلية العراقية والجيش العراقي بجدية.

على هذا إيران مكّنت لنفسها؟

- نعم، إيران شاطرة، ونحن نخشى أن نواجه طاقاتها بعجزنا وفشلنا كعرب في كل مرة، بالضبط كخطابنا إزاء إسـرائيل بأن الصهاينة عملوا كذا وكذا، ونتجه إلى تحميلهم أي شـيء يستفز العرب، نحن الآن نحمّل إيران الشيء نفسه، لماذا لا نقوم نحن بالعمل الذي تقوم به إيران، أو الذي تقوم به إسرائيل، من الذي منع العرب؟

برأيك، هل العراقيون الذين باتوا الضحية، وقعوا في فخ الاحتلال، وربما إيران أيضاً؟

- لا، الوضـع في العراق نتيجـة لتراكمات طويلة، نتيجة لأخطاء في بناء السـلطة العراقية الأولى التـي أقامها الملك فيصل الأول على مبـدأ قومية السـلطة في بلد متعدد، فكان مـن المفترض أن تقام وطنية السلطة على الغرار المصري لا على قومية السلطة؛ لأنه في وطنية السلطة يلتقي السني والشيعي والتركماني والكردي والعربي، أما قومية السـلطة فهي مشروع انقسامي، والملك فيصل انتبه إلى أخطائه فحاول تصحيحها، وقام بتوزيع مذكرة ضد قومية السلطة،

ومرت ستة أشهر من توزيع هذه المذكرة في تداول محدود ثم رحل، وهنـــاك عوامل أخرى أدت إلـــى ظهور العراق بالصـــورة الحالية، أبرزها المكبوت الطائفي الـــذي انفجر، بعضهم يتصرف كمن يرى أن الوقت حان لتصفية الحساب مع الآخرين بعد ١٤٠٠ سنة!

obeikandl.com

دم الصدام في رقبة هؤلاء!

إذن هـل أصبحت العملية أخذ كل طائفة بثأرها من الأخرى؟

- نعم، وهـذا الذي حدث في محاكمة صدام، بدت ثأراً من السـنّة وليسـت محاكمة، هذا ما قلته بعد تنفيذ الإعدام بأربع سـاعات، إذ قلت: إن صداماً السـنّي هو الذي أعدم وليس صدام الديكتاتور الذي لم يحاكم أصلاً، والذي أوحى بهذا الشعور هو عملية الإعدام، هذا المشـهد لم يكن اختراع الذهن العربي أو الذهن السني، وإنما المشهد هو الذي أوحى بهذا الانطباع.

وفـي تقديـرك، من الـذي اختـار التوقيت الذي استفز كثيرين؟

- الأميركيون وشيعة السلطة، حتى أبرئ شيعة الشعب.

وما موقف الشيعة المعتدلين من المشهد؟

- أين هم الشـيعة المعتدلون؟ اذا كان الخطاب العربي يعد الشـيعة العـرب عجماً ويخاطبهـم كصفويين! الخطـاب العربي يقدم كذا

obeikandl.com

مليون عربي شـــيعي هدية لإيران باعتبارهم عجماً، ما موقع هؤلاء المعتدلين إذا كانوا بين أضراس وأنياب التكفير والتعجيم من جانب، وسيطرة الإســـلاميين ذوي النزعة الإيرانية على القرار السياسي من جانب آخر.

وهـل نتيجة لذلك لم يعد للشـيعة العرب تأثير في التركيبة العراقية؟

- الآن درجة تأثيرهم تحت الصفر.

وكيف يُبعثون؟

- يُبعثون بخطاب عربي وليس بخطاب طائفي، ولا بخطاب يطعن في عروبة القبائل العربية التي جاءت امتداداً لنجد في بادية الســـماوة والفرات الأوسط، هذه القبائل هي التي حافظت على عروبة العراق لكي لا يســـتعجم، هؤلاء لا ينبغي الحديث عنهم كصفويين أو عجم. هذه اللغة ناتجها أننا نقدم هذه العشائر العربية هدية لإيران.

وإيران هل ستقبل تلك الهدية؟

- بالتأكيد، وهؤلاء العرب الشيعة مجموعهم يساوي خمس دول عربية أعضـــاء في الجامعة العربية، فأنت تقدم لإيران خمس دول عربية حين تتنازل عن الشيعة العرب، فإنك عندئذ تتنازل عن العروبة في العراق عموماً!

ومـا دورك أنت في تغيير هـذه النظرة وأنت الآن في العاصمة السعودية (الرياض)؟

obeikandl.com

- أسعى لتغيير هذا الخطاب، أسعى لمصالحة تبدأ من التاريخ. كتابي «عمر والتشيع» هو مشروعي.

obeikandl.com

مشروعي مقاومة (العجم)!

هذا المشـروع ثقافي، والعراق يحتاج إلى مشروع سياسي؟

- بل مشروع سياسي يبدأ بالتصالح مع التاريخ، هذا نداء إلى الشيعة العرب أن ينفصلوا عن الخطاب الإيراني، مثلما ينادى السنة العرب بأن ينفصلوا عن خطاب التعجيم، لأن هناك شـيعة عرباً متورطين في الخطاب الإيرانـي، ويهاجمون عمر ويشـتمون الصحابة، في الوقت الذي يمثل الشـيعة فيه فقـط ١٠ في المئة، فهم جزيرة في محيط إسلامي سني، وبالتالي لا توجد لهم فرص طيبة، فالفرص الطيبـة تأتي من التجانس والمشـاركة وليس مـن القطيعة، ولهذا عنوان الكتاب «القطيعة والمشـاركة»، لأن الناس الذين يدعون إلى القطيعة هم الذين يهاجمون الصحابة ويهاجمون عمر ويدّعون حب علي، ويعتقدون أن علياً لم يتشـارك مـع الصحابة وإنما قاطعهم، ولهذا أنا أسـعى إلى تشكيل تيار أسـميه «تيار المتعربين الشيعة»، والمتعـرب هو وصف أتى في كتاب الجاحـظ، حين قال: كان عمر متعرباً. والمتعرب ليس الذي أصبح عربياً وإنما العربي الذي يدافع

obeikandl.com

عن مصالح العرب، وشـــرف العرب، فأنا أفضّل كلمة المتعرب على العربي، أنا من أتباع عمر بن الخطاب فكراً ووجداناً.

أنت تدعو إلى تجمع عربي أكثر من كونه طائفياً، والذي نراه الآن أن صوت الطائفية تتهاوى أمامه كل الأصوات الأخرى؟

- العامـــل الطائفي هو أقوى العوامل في العـــراق، ولهذا كان العراق البريطاني ســـنياً والعراق الأميركي شيعياً، ووضعت كتاباً في هذا الموضوع اسمه «العراق الأميركي».

إذن، هـل يمكـن لمشـروعك النجاح فـي ظل هذا الهيجـان الطائفـي واستمسـاك رجـال الديـن الطائفيين من السنة والشيعة بزمام الأمور؟

- هذه لغة تجارية، أما أصحاب المشـــاريع الفكرية كهذه، فحسبهم أن ينشروا الأفكار مثلما ينشر الأوكسجين ويتنفسه الناس، ولا يفكرون في الربح والخســـارة، أنا شـــخصياً خســـران مئة في المئة، أخسر عندما أترك ســـفارتي ودولتي وامتيازات دولتي، سأخسر كثيراً من الجمهور العراقي الذي سيســـيء فهم كتابي هذا «عمر والتشـــيع»، ولا يدرك أنه مثل كتابي الآخر «الشيعة والدولة القومية»، في ذاك أتكلم عن حقوق مدنية، وفي هذا أتكلم عن حقوق مدنية، في ذلك الكتاب كان الشيعة مذهباً مقموعاً فدافعت عنه، وفي هذا الكتاب أصبحت السنة هي المذهب المقموع، فدافعت عنه.

ألا تـرى أن العـراق الآن في حاجة إلـى مبادرات إطفـاء سياسـية، وليس إلـى مشـاريع فكرية لا يظهر نتاجها إلا بعد وقت؟

- لا، هو مشـــروع سياســـي، وقلت: إنه محاولة لإطفاء النيران، فهو طفّاية حريق.

أنـت ذكـرت فـي إحـدى أطروحاتـك الفكرية أن عيد الاسـتقلال ربما يثير جـدلاً بين العراقيين، واقترحـت أكثر مـن مقترح، فما الـذي تراه الآن بعـد إعدام صدام؟ هل سـيأتي من يقول: إن يوم إعدام صدام سيكون...؟

- (غاضباً)، لا تتسطّح إلى هذه الدرجة. هذا أمر مستبعد تماماً.

سـؤالنا عن عيد الاستقلال، أي يوم تراه مناسباً ليكـون عيد الاسـتقلال؟ أو الأصلـح ليوفّق بين العراقيين؟

- بالنسبة إلى الملكيين كانوا يعدون يوم ٢٣ آب (أغسطس) من كل عام عيداً للاستقلال؛ لأنه اليوم الذي تأسس فيه العراق الملكي عام...، ومنهم من اعتبر يوم ١٤ تموز (يوليو) يوماً وطنياً للجمهورية، ومنهم مـــن يعد يوم ســـقوط صدام حســـين عيداً، ولا أحـــد يحتفل بيوم الاحتلال عيداً له! أنا اقترحت وكتبت رســـائل لزعماء العراق؛ لكي لا يتأخروا في الإعلان عن اليوم الوطني، واكتشـــفت في دراســـتي

لتاريخ العراق أن هناك يوماً سيلقى القبول لدى جميع العراقيين، وهو يوم إعلانه عضواً مستقلاً في عصبة الأمم المتحدة في جنيف، في ٣ تشرين الأول (أكتوبر)١٩٣٢.

وهل تعتقد أن هذا اليوم سيرضي الجميع؟

- نعم نعم، لأنه يوم استقلال، ولم يكن لا ملكياً ولا جمهورياً، بل العراق الذي أصبح دولة مستقلة في العالم.

في حوار لك ذكرت أن لك مؤلفاً، سميته «الفتوحات السفيانية»، وأشرت إلى أن هذا الكتاب لن ينشر إلا بعد مماتك، ما فكرة الكتاب حتى تراه بهذه الخطورة؟

- «الفتوحات السفيانية» كتاب قررت ألا أنشره في حياتي، وبالتالي أيضاً لا أستطيع الحديث عنه، ولكن ما أقوله لك: إن كتاب «عمر والتشيع» كان من نتائج «الفتوحات السفيانية»، كان فصلاً صغيراً فيه اشتغلت عليه إلى أن أصبح كتاباً.

ذكرت في إجابة سابقة أن الطائفية تتناقض مع الاجتماع على العروبة، ولكن في لبنان تكوّنت الدولة على أساس طائفي، وهي المثل العربي الأعلى في غناها الثقافي؟

- لبنان ليست دولة طائفية، وإنما الدولة الطائفية هي التي فيها طوائف عدة، وتوزع فيها الامتيازات بطريقة منحازة غير عادلة،

كأن تكون شـيعية وتحرم السـني، أو مسـلمة وتحرم المسيحي... ولهذا؛ فالإسـلام لم يكن طائفياً؛ لأنه أعطـى حقوق الكل كاملة. العراق مثلاً كان طائفياً لأن القرار سـني، وأصبح الحكم فيه الآن طائفياً كذلك، لأن القرار شـيعي بالطريقة نفسها، لم يتغير شيء سـوى أن اسـتبدلوا بطائفية معينـة طائفية أخـرى، والفارق بين الطائفيتين في حكم العراق أن الحكم في العراق في المرحلة السنية لم يكن ثقيلاً على الناس، لأن الحاكم لم يكن يلبس العمامة السنية، أي أن الطائفة السـنية لـم تحكم العراق بمذهـب أو بدين وإنما حكموا كحزب قومي... حزب ليبرالي، حكموا كهاشـمية، وحكموا كجمهورية، ولهذا فالناس لم يكونوا يشعرون بأن هذا الحاكم سني؛ لأنه لم يكن يحكم بشكل ديني، أي أنه لم يكن مثلاً يفضل أبا حنيفة على أبي جعفر الصـادق، ولا يظهر على التلفاز يمسّ علي بن أبي طالب بشيء.

وفي كل عصور الدولة العراقية السـنية، لم يُسمّ شارع واحد باسم أحد من بني أمية، لأن هناك شيعة، ولا يوجد في العراق شارع ولا مبنى ولا منتدى ولا مؤسسة باسم أي شخص أموي!

إذن على أي أسـاس ترى طائفـةٌ في العراق أن ما يُفعل الآن ضد السنة في العراق مبرر، لأن النظام العراقي السابق فعل بالشيعة الشيء نفسه؟

- هذه منطقة ثأر سياسـي، والثأر موجود بين القبائل، وأي سياسـة مبنية على الثأر لا يمكن أن تصدق!

obeikandl.com

كنت مع المشروع الأميركي!

نعـود إلى العـراق الأميركي، هل النظـام القائم الآن فـي العـراق هو العـراق الأميركي، بحسـب رؤية حسن علوي تماماً؟

- في نظري أنهم يريدون أن يجعلوا العراق هونغ كونغ، ولكن ليس في الصـين، وأن يفتحوا له تجارة، ولكـن لن يوجدوا فيه صناعة، لأنه منذ أن يصبح صناعياً، فإنه سيهدد أميركا، لأن الدول الصناعية لا تكون عميلة، وهذا قانون معروف.

نحن كنا نتصور أن المشـروع الأميركي سيسـاعد على تغيير السلطة وحلهـا، والدول المجاورة كلها كانت تتمنى أن يزول هذا النظام، ولم يحـزن أحد عليه. لكن كيف يتغير؟ هذه نقطـة، ومن الذي يغيّره؟ هذه نقطة. وكيف سـيصبح؟ هذه النقطة الثالثة. وهذه كلها جاءت علـى غير المتوقـع؛ لأن الأميركيين لم يكتفوا بحل السـلطة وإنما حلوا الشعب وفككوا الوحدة الوطنية، والآن بدؤوا في تفكيك الكتل المتجانسة بتأجيج الصراع بين السني والسني، والشيعي والشيعي، والكردي والكردي، والسـنة بدؤوا بهذا المشروع، وإيران تحول دون

obeikandl.com

أن يقتتل الشـــيعة بعضهم مع بعض، بينما الســـنة لم يخضعوا لقوة تمنعهم من الاقتتال.

مـاذا يمكـن لـدول الخليـج العربـي المحيطة أن تفعـل لتحـول دون هـذه المرحلـة التـي سـتكون الأسوأ إذا حدثت؟

- فاقد الشيء لا يعطيه!

obeikandl.com

فِقْه السيستاني (سني) وليس شيعياً!

ذكرت في لقاء سابق معك أن السيستاني يعد ظاهرة في ابتعاده عن الفقه الشيعي التقليدي، وأنه بعيد عن المدرسة الخمينية التي تدعو للالتزام بعباءة الفقيه. كيف ذلك ونحن لا نرى أي انفتاح في المدرسة السيستانية؟

- أنا أرى أولاً أن الحكم المباشر ليس للفقيه، أي أنه يقبل دور الفقيه في المجتمع وليس حكم الفقيه، فالفقيه له دور في المجتمع وليس له حكم، وثانياً أرى أن السيستاني اشتغل سياسياً بالفقه السني وليس بالفقه الشيعي، والسنة اشتغلوا بالفقه الشيعي وليس بالفقه السني. فالشيعة عند تأسيس العراق البريطاني قاطعوا الدولة والانتخابات، وقاطعوا المدارس، فانتهى الحكم إلى السنة.

الآن هيئة علماء المسلمين في العراق الأميركي قاطعت الانتخابات وقاطعت الاستفتاء، ولم تنتبه للخدمات وتركت الأمور للشيعة، فالحرمان السني الحالي بعض سببه الفقهاء، كما أن مثيله الشيعي في العراق البريطاني بعض سببه الفقهاء أيضاً.

obeikandl.com

ولكن ما موقع السيستاني في هذا الواقع حتى تمتدح انفتاح مدرسته؟

- السيستاني اشتغل بالفقه السني الذي يقول لك: لا تترك الدولة للفتنة، الدولة أهم من الفتنة، ولو كان الحاكم جائراً؛ فلا يصلح الابتعاد عن السلطة.

الذين شاركوا في السلطة الحالية من السنة، هم الحزب الإسلامي وبعض العلمانيين، وهذا نفسه حدث عند الشيعة حين رؤوا أنفسهم معزولين عن الدولة، إذ بدؤوا يدخلون الدولة في العراق البريطاني، ولكن بعد أن فاتهم القطار، وفي الحالة الأولى خسر الشيعة مواقع في العراق البريطاني، وفي الحالة الثانية خسر السنة في العراق الأميركي، هذا التبادل الفقهي الذي أعنيه بين السنة والشيعة، وهو ليس نظرية وإنما واقع، لم يُكتشف ولم يُحلل بعد.

أيضاً ترى أن السيستاني بعيد عن مدرسة الخميني، كيف ذلك؟

- الآن هو المرشد الروحي الأعلى.

في ظل عدم وجود مدرسة فقهية شيعية مستقلة في العراق، كما يتردد الآن، ما الذي يمكن أن يوحّد العرب الشيعة؟

- لا توجد مدرسة فقهية عراقية، فقد كانت موجودة، ولكن الآن الفقيه السياسي هو الذي يسيطر على الفقيه الديني، وحتى السيستاني استُحضر استحضاراً للعملية السياسية وابتعد عنها.

هل ابتعد عنها زهداً فيها أم لأنه فقيه ديني؟

- هذه مدرسته وهو لم يكن متفقاً مع الخميني، فمدرسة السيد عبدالمحسن الحكيم وتلميذه أبو الحكيم لا توافق على دخول المرجع في السياسة، مع أن أولاد الأخير دخلوا في السياسة.

ولكن يزعم بعض السنة أن السلطة الحاكمة في العراق، كثير من أفعالها تحظى بمباركة من هيئة إفتاء المرجعية.

- لا توجد لدى الشيعة هيئة إفتاء ولا فقيه واحد، وللعلم فإن السياسيين العراقيين المتنفذين، والزعماء الاسلاميين الشيعة في السلطة العراقية، جميعهم لا يقلدون السيستاني، فالمجلس الإسلامي الأعلى يقلد السيد خامنئي، وحزب الدعوة له مرجعيته التي يقلدها، وتيار الصدر لديه كاظم الحائري، هذا واقع الأمر، وبالتالي، فإن الزعماء لا يأخذون الفتوى من السيستاني، بل يأخذونها من غيره، وفتواه غير ملزمة لهم.

وماذا بقي للسيستاني من دور بعد ذلك؟

- بقي له أتباعه من عامة الناس.

عبد العزيز السويد: ما حصل في العراق منذ قرار بريمر حل الجيش، هل هي أخطاء أم خطط أميركية؟

- بل هي خطط خاطئة، هم كانوا يتصورون أن بإمكانهم أن يسيطروا على العراق عسكرياً، فما قيمة وجود الجيش العراقي بالنسبة إليهم؟ فطبيعة المحتل ألا يسمح بسلاح آخر غير سلاحه، لأنه في الدولة المحتلة لا يوجد إلا سلاحان: سلاح المحتل وسلاح المقاوم. كان المفترض أن يجعلوه سلاحاً متصالحاً، لكنهم خافوا من أي سلاح آخر أن يتحول إلى سلاح مقاومة ضدهم، وهذه هي الخطة الخاطئة، فهم لم يكونوا يعلمون أن الجيش الذي سرّحوه لن يشكل خطراً طالما أنه يشتغل تحت سيطرتهم، فطلع لهم الجيش نفسه، ولكن تحت سيادة أخرى، ولهذا نتجت من هذا المخطط الخاطئ أشياء خاطئة أخرى.

بما أنك قسمت العراقي إلى أميركي وبريطاني، فأيهما سيكون الأطول عمراً؟

- العراق الأميركي سيكون الأقصر عمراً، ومن الغرائب أن يكون الاحتلال عنواناً لبقاء العراق، كما يرى الحزب الإسلامي والشيعة معاً. هناك اتفاق سني - شيعي في السلطة العراقية، على أن ذهاب الأميركيين سيؤدي إلى الاقتتال.

الصراع حين يكون على (العدو) . . لا معه!

وأنت ماذا ترى؟

- الشـيعة والسـنة إذا تصالحوا هم من سيطرد الأميركيين، ولكنهم الآن في عراك وصراع دمـوي، وهذا الواقع المر هو الذي يوصلهم إلـى نتيجة أنه إذا ذهب الاحتلال ذهب العراق، وطالما أن الأطراف العراقية هي التي تشعل الاقتتال، فلينهوا هذا الاقتتال؛ لكي لا يجد الأميركيون ذريعة للبقاء.

وهـل المحتلـون أنفسـهم يريدون مغـادرة العراق حقاً؟

- مفهـوم العراق الأميركي المتصـل بالاحتلال قد ينتهي مثلما حدث للعراق البريطاني، ففي ٣ تشرين ١٩٣٢ انتهى الاحتلال البريطاني وأعلن استقلال العراق، لكن كانت هناك قاعدتان بريطانيتان، بهذا المعنـى يبقى العراق الآن أميركياً وبرضـا الأطراف جميعها. وفي بعـض الأحيان لا يكون الصراع ضد أميركا، وإنما عليها، انظر إلى هـؤلاء الذين كانوا يتصارعون، الآن كل منهم يقول: إن أميركا لابد أن تبقـى؛ لأن كلاً منهم يود خطب ود الأميركيين، هناك صراع بين

obeikandl.com

السني العربي والسني العراقي. السني العربي مسكين جاء للعراق لا ليطلب دفتر إقامة ولا إجازة عمل ولا جاء للسياحة، بل جاء ليموت، فأمامه «الجنة الخضراء»، أما السني العراقي فإنه يريد الاستيلاء على «المنطقة الخضراء»، ويفكر كيف يصل لها ويأخذ حقوقه مثل الشيعة.

هل يعني هذا أن المقاومة الباقية من السنة العرب فقط؟

- وقليل من السنة العراقيين، وبعض الشيعة كأفراد، أما العشائر العربية فلا توجد داخل التيار الصدري ولا غيره، فهي الآن في دور السبات، ليس لها دور في السلطة ولا في المعارضة.

نشر لك رأي تؤكد فيه أن مشايخ الشيعة أمرهم رجراج، وفقهاء السنة هائجون مائجون، ماذا تقصد بهذا؟

- الشيعة مثل المشتهية المستحية، أتوا بالأميركيين معاونين لهم، ومع ذلك يحاولون إخفاء ذلك، لكن هذا لم يحدث مع السنة في العراق البريطاني، كان موقفهم واضحاً.

وذكرت أيضاً أن الشيعة في أثناء معارضتهم كانوا أرأف بالسنة، على عكس السنة حينما صاروا في العراق الأميركي، على حد اصطلاحك، محكومين؟

obeikandl.com

- وما زلت أقول، إلى حد ضرب سامراء.

وبعدها ماذا كنت تقول؟

- بعدها بدأ الشيعة ينتقمون، وقبل هذا كان دورهم سلمياً، في أثناء وجود سيادة سنية لم يقتل محافظ ولا اغتيل رئيس مركز لأنه سني، ولا اغتصبت فتاة سنية من شيعي.

obeikandl.com

الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟!

كأنك تقول: إن الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟

- نعم كانوا كذلك في العراق البريطاني، عند مقارنتهم بالسنة في العراق الأميركي، واستمرت الحال إلى حدٍ ما في العراق الأميركي إلى أن ضربت سامراء، بعد ضرب سامراء تنمّر الشيعة وبدؤوا في إحراق مساجد السنة، وبدأ القتل على الهوية بصورة لم يشهدها العراق من قبل!

أشرت في بعض أطروحاتك إلى أن المشروع العربي هو الحل، بينما ترى طوائف أخرى من الطائفتين أن الحل بيد المعممين من السنة والشيعة، بمعنى آخر، رجال الدين؟

- هذا سؤال فكري فضفاض، وأنا عندي كتاب عن الدولة القومية، راجعه تجد فيه الإجابة على سؤالك.

هل تنص في كتابك على أن الحل لدى الإسلاميين أم لا؟ هذا ما تهمني معرفته الآن؟

obeikandl.com

- ذبحتني بأسئلتك! خفف عليّ.

تحاملت في أحد كتبك على القومية العربية، وقلت: إنها تعريب، والتعريب حرام، لماذا؟

- التعريب هو القسر على اعتناق اللغة بلا إرادة الطرف المستعرَب، وتعريب العجم يعني تغيير هويتهم، وهو ما يتعارض مع الجعل الإلهي في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾ (الحجرات:١٣)، ولكن بالاستجابة الطبيعية الشعوب كلها تعربت، لأن العروبة أصبحت وسيلة المسلم لفهم الإسلام، فاستعرب بإرادته، ولذلك عمر بن الخطاب حين فتح العراق ووجد القوميات غير العربية تركها على لغاتها، ولو أن عمر فرض على هؤلاء العروبة لما بقي من هؤلاء أعجمي أو تركماني أو كردي أو آشوري.

ذكرت في أحد كتبك أنه لا توجد فتوى شيعية تجيز قتل السني، بينما توجد أعداد من الفتاوى السنية قديماً وحديثاً تجيز إهدر دم الشيعة، هل أنت متأكد من ذلك؟ والقتل على الهوية الذي اعترفت به آنفاً، إلام يستند؟

- هذه مسألة يطول شرحها وقد تلتبس على الناس، لأنها تحتاج إلى مقدمات، فالطائفية الشيعية في العراق تاريخية، أما الطائفية السنية فإنها معاصرة، هذه واحدة. الشيعي غير متصالح مع التاريخ بسبب شتمه بعض الصحابة، بخلاف السني فإنه متصالح

obeikandl.com

مع التاريخ، لأن كل أئمة أهل البيت بالنسبة إليه أولياء صالحون، فمشت أمورهم. فالشيعي عندما يشتم عمر لا يرد عليه السني بشتم علي، وإنما يقول له: أنت كافر ودمك حلال، هذا السبب في ظهور الفتاوى التي سألت عنها لدى السنة، أما الشيعة فإنهم لم يحتاجوا لتلك الفتاوى حتى يصدروها.

عبد العزيز السويد: والنواصب؟!

- النواصب المقصود بهم بنو أمية، وهم قوم لهم خطاب خاص في الفقه الشيعي.

obeikandl.com

مساكين يبحثون عن الجنة!

في معـرض حديثك عن المفارقة بين الطائفتين في الاسـتجابة للعنف، ذكرت فـي أحد لقاءاتك أنـه لـن يظهر «زرقاوي شـيعي»، ولكن مـا الفرق بـين الزرقـاوي والميليشـيات التـي تـؤدي المهمة نفسها في الطرف المقابل؟

– قد يكون هناك التباس، فأنا خرجت على «المستقلة» ذات يوم، وقلت: إن جبر صولاغ هو «زرقاوي الشـيعة!»، الفارق أن المعسكر الشيعي يمثل الدولة وهذا الخطر، وقلت: إن السـنة سـيقتلون الزرقاوي. وأكدت أن مشكلة الزرقاوي قبل أن يقتل في الأساس مع السنة، لأن السني العراقي يريد الحكم والزرقاوي يريد الموت، فحتى يتخلصوا من هذا الإشـكال عليهم أن يقتلوه، وفعلاً تخلصوا منه. السنة هم الذين قتلوا الزرقاوي!

أكدت أن السـني العراقي يريـد الحكم، هل أفهم من هذا أن في العراق سنة غير عرب، أو عرباً غير عراقيين مؤثرين في الخريطة السياسية؟

obeikandl.com

- السني العربي جاء للعراق ليس طلباً لدفتر الإقامة ولا حق عمل ولا راتب، جاء ليموت في المنطقة الخضراء، أما السني العراقي فإنه أمام المنطقة الخضراء، يريد أن يتفاهم ويسهم في الحكم. السني العربي ليس جاسوساً ولا مرتزقاً.

عبدالعزيز السويد: إرهابي يُسمّى؟

- السني العربي ليس إرهابياً، إنما هو مسكين يبحث عن الجنة. أما السني العراقي فإنه مدني سياسي. وهذه مشكلة السلفية، فإنها عقيدة بلا مصالح، بخلاف الإخوان فإن لديهم عقيدة ومصالح.

ذكرت في أحد حواراتك الصحافية القليلة جداً، أنك أحصيت ٧٠٠ ساعة تدعم فيها قنوات عربية منظمات الذبح السنية، لماذا لا تسمّيها منظمات مقاومة؟

- هذا الكلام كان فيما قبل عام ٢٠٠٥، أما الآن فإن هناك متغيرات حدثت، فبعد سامراء استشرس الشيعة، فصاروا أيضاً شركاء في الذبح على الهوية.

ألمحت إلى أن الليبرالية قد يكون بيدها الحل بعد أن فشلت الطائفية؟

- الليبرالية ليست عقيدة وإنما هي منهج، والليبرالية التي أعنيها هي التي تمنح الناس التفكير والمشاركة في الرأي، وهي التي تمثل معنى آية: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ولو أنها آية منسوخة!

obeikandl.com

وأنـــا شـــخصياً لا أرى أن الليبرالية حل، وإنما هـــي منهج للعمل. والعراق لم يكن في يوم من الأيام ليبرالياً، ولا يتحمل الليبرالية غير المتدرجة، والمؤسسات التي تقوم عليها الليبرالية لم تقم في العراق، وهي الصحافة الحرة والبرلمان والرأي العام.

obeikandl.com

انتفض الملك عندما أبلغته رسالة الأميركيين!

بما أنك أقررت في إجابة سابقة أنك كنت تناصر المشروع الأميركي في العراق، فما هو الدور السعودي في إسقاط صدام، وأنت أحد الذين لهم اتصال بقمة الهرم السياسي في المملكة، ومبرر هذا السؤال أنه رغم مساعي السعودية في نهي الأميركيين عن اجتياح العراق، إلا أن أطرافاً تزعم أن وراء هذا التوجه، خطاباً مستتراً يؤلبهم عليه... بصفتك شاهداً مع المشروع الأميركي في تلك المدة... ما هي الحقيقة؟

- الدولة السعودية دولة مركزية، لا تحتمل ظهور أقلية وفرقاء، فهي تسير على نظام أبويّ صارم، وكان الملك فهد قد ترأس اجتماعاً للمعارضة العراقية كنت أحد المشاركين فيه، لكن الإدارة الأميركية هي التي تشظت إلى أكثر من فريق، وانتهت بانتصار الكونجرس والبنتاغون على فريق السي. آي. إيه والخارجية. كانت المملكة العربية السعودية تسعى للتغيير بأسلوب الانقلاب العسكري، فاجتمع إليها عسكريون عراقيون خارجون على النظام، مع شخصيات كان

obeikandl.com

لهم دور في قيادة حزب البعث، بالإضافة إلى عسكريين يعيشون في المملكة منذ مطلع السبعينيات، لكن السعودية لا يتناسب وقارها مع العمل الحزبي وتشكيل خلايا ثورية وتحريك القوى والعوامل الخاملة، مما قد تنجم عنه مخاطر فتنة على الطريقة العراقية، فتوقفت المملكة للمراجعة، وإن بقيت مصرة على أن الانقلاب أفضل الطرق للتغيير في العراق.

وقد تشكل كيان معارض بنظرية أخرى داخل الولايات المتحدة الأميركية لسحب المعارضة من الرياض إلى واشنطن، واعتماد شخصيات أخرى، فظهر المؤتمر الوطني وأحمد الجلبي، وانعقد مؤتمر فيينا، وكان انعقاده مزعجاً للدول الثلاث التي كانت تشرف على اجتماعات المعارضة العراقية، وهي سورية وإيران والسعودية.

وأنت أين كنت من هذين المشروعين، وقد بدت لك علاقات خاصة مع السعوديين في وقت مبكر؟

- كنت ضد مشروع الانقلاب، لأنه يعني بالنسبة لي أن كتبي وكتاباتي ومليون ضحية عراقية لم تكن إلا عبثاً، بحيث أغفل «دولة المنظمة السرية»، و«الشيعة والدولة القومية» وسواهما، وجهودي التي ترتكز على عالمية بغداد وسلطة مشتركة وليست أحادية.

لكن لا أخفيك الآن، وقد وضعت في مواجهات سرية وعلنية مع رجال المشروع السعودي، ومع الجهة المسؤولة عن الملف العراقي، فأقول، ولكن بعد تجربتنا في العراق الأميركي: إن فكرة

الانقلاب كانت أسلم وأنفع مع قليل أو كثير من المشاركة في صناعة القرار.

وكيف توفق بين علاقاتك مع السعوديين، ودورك في المعارضة، والسعودية بشهادتك كانت ضد المشروع الأميركي؟

- عندما تتصف بشيء من سعة الصدر والليبرالية والحياد، يمكن أن تتحدث مع خصمين في وقت واحد، وربما سيحتاجك الخصمان معاً.

كنت في اجتماع ثنائي مع أحمد الجلبي في مكتبة بمقر المؤتمر الوطني في حي نايس (برج في لندن)، ولم أكن من مرتادي هذا المقر، ولم تزد زياراتي له على الثلاث مرات خلال سنتين، حيث أكتفي بالعمل من مكتبي، بعيداً عن كل ما يذكرني بالمركز والمقر والاجتماع.

استعرض الجلبي بتفاؤله المعهود خطوات سياسية مفيدة لعملية التغيير، وأشار إلى السعودية باعتبارها مشكلة للعراق في الحاضر والمستقبل (!!!) وسألني إذا ما كان ممكناً لي أن أستثمر علاقاتي مع القيادة السعودية لإزالة مخاوفها من المستقبل، وتحدث عن موقف البنتاغون وبعض النافذين في الكونجرس من سياسة المملكة إزاء المؤتمر الوطني.

وفي الأمثلة التي قدمها لي، وهو ينقل آراء المسؤولين الكبار في الإدارة الأميركية، أحسست بهجمة تستهدف الملك عبد الله شخصياً

obeikandl.com

(لما كان ولياً للعهد)، فسألته عما إذا كان وراء هذا الاستهداف لوبي إسرائيلي، فقال:

الأميركيون يتحدثون عن مصالحهم بوضوح، وعن مصالح إسرائيل بالطريقة نفسها، ولا يذهب بك الاعتقاد أن مسؤولاً كبيراً في الإدارة الأميركية يتحول إلى أداة لصالح دولة أخرى، إلا إذا كانت الدولتان تشتركان في رؤية ومصالح واحدة.

وبحركة سريعة قال الجلبي: لا يجوز استسهال التحليلات، لأن هناك خلافاً سعودياً أميركياً كبيراً، فهل تريد أن أسمعك موقف مسؤولين كبار من السعودية والأمير عبد الله بالذات؟ فتقدم إلى الهاتف، وطلب اسم شخص في البنتاغون وأنا أستمع إلى حوارهم وكان الشخص الأميركي يتحدث بلغة غير ودية عن السعودية والأمير عبد الله!

وكان الجلبي قد عرّف لي الشخص المتحدث، وسألني بعد انتهاء المكالمة التي استمرت عشرين دقيقة، إذا كنت مستعداً لنقل وجهة نظر شخصيات أميركية أكبر من هذا المتحدث، وحمل رسالة إلى الأمير عبد الله، تكشف موقف فريق فعّال في الإدارة الأميركية من المملكة العربية السعودية، فاعتذرت إذا كانت الرسالة حادة أو صارمة، واشترطت الالتقاء بالشخصية الأميركية مباشرة، ومعرفة مكانتها هنالك، فحضر بعد أيام مسؤول أميركي رفيع المستوى، وتحدث بنوع من الاحترام للأمير، وحرص المتحدث على أن يرى

الأميـــر قائداً لدولة بحجم المملكة، لكنه لم يخف ملاحظات إدارته الخاصة، وتتعلق بثلاثة أهداف:

١) إن التثقيـــف فـــي المملكـــة ونظام التعليم، من شـــأنها –حســـب زعمهم– أن تخرج مجتمعاً يمكن أن يظهر فيه متطرفون ينتشـــرون في العالم.

٢) إن الســـعودية، إن لم تدعم صدام حسين، فإنها لم تشارك الإدارة الأميركية في مشـــروعها لإســـقاطه، وأظنها الآن – أي المملكة – تقدم العون حالياً للحيلولة دون ســـقوط نظام صدام حسين، وكأن المتحدث يلوح إلى رد فعل الجوار العراقي من إســـتراتيجية التغيير الأميركي في المنطقة.

٣) إن سياســـة المملكة والأمير عبد الله بالذات تجاه قضية فلسطين تميل إلى التشـــدد، بـــل وتحريـــض دول كمصر على التـــزام هذا الجانب. ومشاركة الدول العربية المتشددة في قضية السلام العربي الإسرائيلي.

اتصلت في مســـاء ذلـــك اليوم بصديـــق كبير في الديـــوان الملكي الســـعودي، وأشـــرت إلى اعتذاراي عن إيصال رســـالة أبلغني بها مســـؤول أميركي إلـــى الأمير عبد الله، لما فيها من مواجهة لســـت أهلاً لها.

فقال المتحدث السعودي: لا. عليك أن تبلغها لصاحبها بأسرع وقت اليـــوم قبل الغد، وكان يوم الخميس، فوصلت الرياض بعد منتصف

الليـــل، وتوجهت إلى لقاء الأمير صباح يـــوم الجمعة في منزله في الرياض.

عرضـــت عليه تطورات الوضع في المعارضة العراقية، واتجاه النية للتغيير في العراق لا محالة، وعن إمكانية التأقلم الإقليمي مع هذا الواقع، بما ســـيأتي به من مستجدات وتطورات، وعرجت بأسلوب دبلوماســـي رقيق إلى ما أسميته احتراماً للمقام باتهامات متداولة عند فريـــق أميركي نافـــذ، وبدأت أقترب من عـــرض الملاحظات الأميركية الثلاث، فانتفض الأمير وهو يستمع إلى الملاحظة الأولى قائلا: هل يريد هؤلاء أن نخرج على عقيدتنا ومبادئ ديننا وأعراف مجتمعنـــا مقابل أن يرضـــوا عنا؟ ومن هؤلاء الذيـــن يكيدون هذا الكيد، ومن يتبنى أمر مواجهة الدولة بمسلميها؟ وماذا يبقى لنا إذا حدث هذا الأمر لا سمح الله؟ وهل يعرف هذا الفريق أو ذاك، أننا أحدثنا إصلاحات كبيرة في نظام التعليم.

وعند الملاحظة الثانية المتعلقة بمســـتقبل نظام صدام حســـين قال الأمير عبد الله: إننا لســـنا مســـؤولين عن استقدام صدام حسين وحزبه إلى السلطة، ونحن على خلاف معه منذ يوم الانقلاب حتى تطاولـــه على حرمة المملكة بضرب عاصمتها بالصواريخ، وحشـــد جيشه على حدودها وتهديد أمنها. لكننا لن نتعاون مع دولة تسعى للإطاحة بنظام عربي بهذه الطريقة، ولا نشارك في هذه السابقة، ولـــو اعتبرنا مع من يســـعى لحماية صدام، ولـــن نضحي بمصالح العـــراق ووحدته، بل نحذر هؤلاء من مخاطر هذا المشـــروع، وهذه الطريقة لتغيير حكومة أو نظام.

أما بخصوص الملاحظة الثالثة، فالمجال متسع لتقديم أفكار أو مشروع للسلام العربي الإسرائيلي بما يحفظ مصالح العرب والفلسطينيين، وهذا الأمر منوط بجميع الدول العربية، وهو أمر قابل للمناقشة.

لم أكن مستمعاً لردود الأمير عبدالله فحسب، بل كنت محاوراً فعالاً، حتى إنني وهو في صميم دفاعه بلغة قومية صارمة قلت له:

إذن من حق هؤلاء أن يصفوا موقف صاحب السمو بما يشبه مواقف ماوتسي تونغ سابقاً. لقد طرحت عليه هذا الاسم بابتسامة، ثم أردفت قائلاً:

صاحب السمو، إن المملكة لم تقم إلا على سياسة الاعتدال والتفاهم مع الغرب، فلما ذا لا تترك صدام حسين ونظامه الذي جرّ المآسي إلى هذه المنطقة؟ ثم إن المملكة لا تتحمل سياسية متشددة.

قال الأمير: إنني أواجه المتشددين في كل يوم، ولكن بطريقتنا الخاصة وبأسلوبنا وأعرافنا. ثم وجه الأمير كلامه لي قائلاً بالنص:

إن هذا المشروع سيجلب لكم المآسي والفرقة، ولن يعود عليكم وعلى العراق بالخير.

كتابي أهدر دمي!

أخيراً إلى أي شيء انتهيت في كتابك «عمر والتشيع» الذي أعادك إلى الأضواء مجدداً؟

- من الأخطاء الكبرى أن ينظر إلى عمر على أنه نصف الإسلام، والنصف الآخر علي. عمر ليس نصف الاسلام، بل هو كل الإسلام ناقصاً خمسة!

ومن هم الخمسة؟

- أصحاب القطيعة، وبالتالي لا توجد مناصفة، وللأسف حتى الطرف السني خضع لهذه المناصفة الخاسرة، عمر لم يتطفف نصفاً، عمر هو كل العرب ناقصاً خمسة، عمر هو كل التاريخ ناقصاً خمسة في المئة، خذ مؤلفي التشيع القدامى المسعودي والأصفهاني واليعقوبي، تجد أن رأيهم في عمر مثل رأي حسن العلوي.

وكيف كانت ردود الفعل بعد الكتاب؟

- الكتاب لم يُوزّع بعد.

وما توقعك لردود الفعل؟

obeikandl.com

- رد الفعل معروف عندي منذ سميت ابني عمر قبل ٤٣ سنة، ويتوافد علي أناس لم ينطق أحد منهم في حياته باسم عمر، فجلسوا يقترحون علي أن أسميه عماراً، بحثاً عن أي تحريف لاسم عمر، وبعضهم يسألني: أي عمر تقصد؟ فأقول عمر في التاريخ واحد، هو عمر بن الخطاب، وما سميت ابني عمر إلا حباً في عمر ابن الخطاب، وسيأتي يوم أكتب فيه كتاباً عن عمر. خمسون عاماً مضت وأنا أبشر نفسي بكتاب أخطه عن عمر، فكتابي هذا ابن خمسين سنة، جمعت فيه عواطف خمسة عقود!

عبدالعزيز السويد: وأنا أشهد أنني معك عام ١٩٩٢ وكنا نتحدث عن عمر، فأنا أشهد أن شخصية عمر منذ عهد بعيد كانت مسيطرة على أبي عمر حسن العلوي.

- أنا لست متحولاً أبداً، كتابي هذا هو أنا منذ خُلقت.

هناك من سيشكك في صدقية نهجك هذا، وسيفسره بنظرة تآمرية، من ذلك وجدت صحيفة عراقية تقول: إنك شيعي في المغنم، ومتبرئ من المذهب في الملمات.

- (غاضباً) إذا كان المغنم أن الدولة الحاكمة في العراق الآن شيعية وأنا من بُناتها، إذ كنت زعيم المعارضة الإعلامية منذ ٢٣ سنة، فالمفترض مني على رأي من يقول هذا أن أقبل بكل العروض التي

obeikandl.com

جاءتني منها، وأتمتع بكل الامتيازات التي يتمتع بها أمثالي، أو أكون تاجـراً أعقد الصفقات ويصير عندي ملايين. أنا الخاسـر. تارك بلدي ومواقعي ومناصبـي، والرواتب التي تدرها، والصفقات التي تدرها السـلطة، وأعرّض حياتي للتهديـد... كل هذا مغنم؟ أأحد يترك كل ذلك ويقال: إنه طالب مغنم، لا يقول هذا إلا السـفلة من الشيعة والسنة!

هذا ظننا فيك، ولكن هذه تهم طبيعي أن تتردد، فسامحنا؟

- عبد العزيز السـويد: من البدهي أن يكون لمثلك أعداء من السـنة والشيعة، فكل المصلحين عانوا.

- العلوي: تأليفـي لهذا الكتاب يعني أنني غامرت بروحي، ووظيفتي تركتها، وبلدي الذي يقتل على الهوية قاطعته، فأي شـيء يمكن أن يعوضني عن كل الذي خسرته؟ وأي دولة سنية تستطيع أن تعوضني عن حياتي وعن خسائري؟

عبد العزيز السويد كرر مواساته السابقة للضيف.

obeikandl.com

دستور العراق الحالي تشويه للفيديرالية

الدستور الحالي ليس أكثر ليبرالية من الدستور الملكي، لقد كان لدينا دستور ملكي تأسس عام ١٩٢٥، وكان نموذجاً يحتذى به، لكن طراز الحياة السياسية لجم سراج هذا الدستور. الدستور الحالي به هوامش ليبرالية واضحة، تجعله دستوراً ليبرالياً، لكن فيه أخطاء واضحة أضعفت المركزية أكثر مما ينبغي، وأعطت الأقاليم الصغرى حقاً في القرار الأكبر، في صورة لا توجد في نظام الولايات والفيديراليات العالمية.

في أميركا، وهي دولة فيديرالية، هل تسمع صوتاً غير صوت بوش؟ أين صوت حاكم كاليفورنيا؟ هل سمعت أن حاكم كاليفورنيا ذهب ليعقد اتفاقاً مع المكسيك مثلاً؟! بينما في العراق يذهب محافظ البصرة ليعقد اتفاقاً مع إيران! الدستور هو الذي أعطاه هذا الحق. الدستور العراقي أعطى الحق للمحافظة في أن تنفصل عن الإقليم، إذن، دستور العراق الحالي لا يؤمّن القدر المطلوب للوحدة الوطنية، ويعتبر تشويهاً للنظام الفيديرالي في العالم الذي يوصف بالليبرالية. الليبراليات في العالم تقوم على مركزية القضاء والخارجية والدفاع، ولا تعطي أي حق للولايات في أن تخرج عن حدودها وتبرم معاهدات كما نرى في العراق! (من الحوار).

القطيعة ستحاصر الشيعة العرب

على سعة نفوذها المحكم على المؤسسة الدينية وسيطرتها على الذهن الشعبي، لم يقدر لنظرية القطيعة أن تجد لها صالة أكاديمية ومريدين متنورين في الوسط الشيعي على الأقل في مقاسات النخب النوعية.

إن أكثر الأسماء بريقاً في العراق وأحياناً في البلدان العربية والإسلامية تنتمي إلى القول بمبدأ المشاركة والتجانس بين الإمامة والخلافة في العهد الراشد.

ففي الجانب المشارك، تلمع أسماء ريادية لم ينافسها اسم في مدرسة القطيعة، التي تبدو أكاديمياً شبه مهجورة في العراق، ليس لغلبة النشاط السني الداعم والمبشر بنظرية المشاركة، بل لعبقريات خرجت من مدن التشيع إلى العالمين العربي والإسلامي برؤية تنويرية رائدة.

فعسى أن نلملم شتاتنا لقيام مدرسة لوحدة المشاركة بأساتذتها وأتباعها وإنتاجها الفكري والإعلامي، وبهذا قد نصون وحدة التاريخ العربي، ونصون قبل ذلك حياة المنتمين لمدرسة أهل البيت، ونتسامى

obeikandl.com

من حمأة الكراهية والدماء إلى رحاب السلم الأهلي، لا سيما وأهل التشيع هم الأقلية في محيطهم العربي، ومثل ذلك في عالمهم الإسلامي، بدل المواجهة الإعلامية التي طالما تقود في مرحلة آتية أصحابها إلى سكاكين الذبح.

إن دعاة القطيعة لا يقتصر أداؤهم السلبي على مرحلة في التاريخ الإسلامي فحسب، بل أيضاً على قطيعة اجتماعية وسياسية وحياتية بشكل عام مع مجتمعنا العربي.

ومع ارتفاع وتيرة التحريض في خطاب القطيعة ترتفع إجراءات القطيعة العربية لحاملي هوية التشيع، فيصبح الوسط الشيعي هو المقاطع والمركون في حجر العزلة.

وإذا كانت نظرية القطيعة أقامت في إيران إمبراطوريات كبرى، وأسهمت في إيجاد وحدة تقوم على التمذهب القومي، فلأن إيران عالم خاص يعيش في شبه قارة، لها عناصر قوة لا تتوافر لأهل التشيع في بلد آخر. وليس لإيران مجال حيوي غير بلاد فارس، فيما المجال الحيوي للشيعة العرب مفتوح على عالم يمتد من ثراء الخليج وينتهي بثراء المحيطات، وسيحول بين أبنائنا وحق الحياة في امتدادهم العربي، قول آبائهم بنظرية القطيعة مما يدفعني إلى التصريح بأن نظرية المشاركة لا تقف عند اندماج الإمام علي مع الدولة والمحيط في التاريخ الإسلامي الأول، وإنما تدعو إلى اندماج بشري وقومي وإنساني واندماج المصالح للمنحدرين من سلالات

obeikandl.com

شـــيعية مع مجتمعهم العربي، ومن دون ذلك فســـيكون عبور شـــيعي عراقي إلى الخليج كعبور الخليجي السني إلى جنوب العراق في هذه الأيام مـــن أواخر عام ٢٠٠٦. وهكذا يتحـــد الحرص على المصالحة التاريخية بالحرص على الصلح الاجتماعي مع الماضي والحاضر.

إن كتاب «أصل الشـــيعة وأصولها» للإمام كاشف الغطاء ومهزلة العقل البشري لعلي الوردي وفصول من تاريخ الإسلام لهادي العلوي وشـــيء من هذه المحاولة هي جوازات مرور تخترق جدران القطيعة، التي يســـتفاد منها في إيران لكنها ســـتضرب مصالح الشيعة العرب أينما ولوا وجوههم.

وفي منهـــج الوردي يمكن عـــرض الملاحظات الآتيـــة لعل جيلاً سينتبه إلى أهميتها مثلما اســـتيقظ العراقيون بعد الحرب العراقية – الإيرانية على صوت الوردي وعادوا يستنجدون بمناهجه العلمية.

لقد أشـــاح الوردي عن التاريخ «أبراده القشب» وتحدث إليه بمثل ما تحدث طه حســـين وجهاً إلى وجه، وأتاح ذلك له التحاور الإنساني مع المقدس، ووضع رجاله على طاولات التشـــريح الاجتماعي العلمي باعتبارهم بشـــراً، واســـتخرج من تاريخ الصـــراع المذهبي المرويات المشـــتركة والخاصة لإبطال القائلين بنظرية القطيعة ليس فقط بين عمر وعلي، بل أعطى أمثلة ونصوصاً لفقهاء المذاهب الأربعة وميلهم لأهل البيت، واســـتل الـــوردي عمر بن الخطاب بمهـــارة وعفوية من أمويته المخترعـــة، وعاد به إلى الخط المحمـــدي، فأبطل أطروحات

فقهاء الخلاف وأحالها إلى عاملين: صراع المصالح الخاصة، وعامل يتصل بطبيعة النفس البشـــرية وتعقيداتهـــا، والتقط الممتع والجاذب من تاريخ الإســـلام. فحبب إليه من لم تكن لهم مصالح في القطيعة، بينما كان الفقهـــاء ورجال الدين من أوائل المتطوعين لوضع كتب في الـــرد عليه، وأبـــرز من كتب في نقد الوردي آية الله الســـيد مرتضى العســـكري ورضا صادق وعبدالمنعم الكاظمي وصالح القزويني. من كتاب «عمر والتشيع».

obeikandl.com

لو اعتُمد الانقلاب لربح الشيعة والسنة معاً!

سأختلف مع القائلين بأن الاجتياح الأميركي يرتبط بتداعيات ١١ سبتمبر.

يحضرني في هذا المجال رأي نشرتُه في المجلاّت والصحف العربية، ودوّنته في أحد كتبي، وهو جواب على سؤال مماثل عن الاجتياح العراقي للكويت، وما قلته في هذا الاجتياح يصلح أن يكون قاعدة تاريخية للاجتياح الأميركي.

إن الكويتيين كرّسوا جهودهم وأفكارهم ونشاطاتهم، حتى في كتابة تاريخ الاجتياح على الاجتياح نفسه، وهو لحظة عسكرية محضة، وتنفيذ قرار عسكري يتصل كما أعتقد بأيديولوجيا الضم التي تمتد في العراق إلى منتصف الثلاثينيات الميلادية.

إن الغزو الأميركي كذلك ليس هو اليوم الذي يُكتب تاريخاً بدخول القوات الأميركية بغداد، أو بسقوط النظام في ٩ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣م.

إنه ليس نتاج لحظة رحمانية أو شيطانية، جمعت أشخاصاً من المعارضة العراقية مع مسؤولين في الكونغرس والخارجية والأمن،

obeikandl.com

ليخرجوا منها متفقين على برنامج إسقاط النظام الذي تعارضه هذه الشخصيات العراقية باجتياح عسكري أميركي.

لـــو كان كل معارض يحظى بتأييد أميركي، ثم يتحول هذا التأييد إلى عمل عســـكري ضخم لإســـقاط النظام السياســـي، لكانت أول تجربة ستتم أو ستنجز في كوبا المجاورة للولايات المتحدة، حيث تقيم المعارضة الكوبية المنظمة والواســـعة هناك منذ أكثر من أربعين عاماً، ولكانت حركة «مجاهدي خلق» الأكثر تنظيماً وإقداماً، شكلت مجلس الحكم لإيران الأميركية، منذ عشرين عاماً، ولكانت المعارضة الليبية سبقتنا بثلاثين عاماً لإقامة ليبيا الأميركية.

إن ظهور العراق الأميركي في ٩-٤-٢٠٠٣ ليس أول ظهور، بقدر ما كان يوم ولادة سبقته مخاضات معقدة، ولعلنا عشناها، لا متفرجين أو محايدين، بل مشاركين.

فمنذ انتهاء العراق البريطاني يوم ١٤ تموز ١٩٥٨م، وقيام العراق العراقي للمرة الأولى، وتجميد العمل بتمذهب الدولة، ونقل بغداد من أحاديتها «المقرفة» إلى عالميتها العباســـية الرحبة، وتعرّض الحكومة العراقية المحايدة عنصرياً ودينياً وطائفياً إلى محاولات يومية قادمة من غرب العراق وغرب العالم، انتهت يوم ٩ شـــباط (فبراير) ١٩٦٣م بإعـــدام العراق العراقـــي زعامة وحركة وطنية وحزبـــاً ديموقراطياً، وليس لك أن تتســـاءل كيف أســـقط نظام سياســـي كان أتباعه أكثر مـــن خصومه، وقوته العســـكرية باعتباره محمياً بالجيش العراقي لا

تساويها قوة ميليشـــيا ناشئة معزولة باسم الحرس القومي، فيسقط الجيش والنظام بيدها.

إن زعماء الحزب الذين أسهموا في حركة إعدام العراق العراقي، هم الذين أجابوا على هذا الســـؤال بشـــجاعة لم يتحل بها نظراؤهم في الأحزاب العراقية.

أما واحد مثلي، عاش مع الحزب منذ منتصف الخمسينيات بصفة (مراقب) فإنه ربمـــا التقط الكثير، واحتفظ بالأكثر من الشـــهادات والأفكار، التي قد تؤيد ما ذهب إليه زعماء الحزب ممن خرجوا عليه في وقت باكر.

ولا أتردد فـــي القول هنا: إن الغزو الأميركـــي للعراق هو لحظة عســـكرية تشبه غزو الكويت، تسبقها أربعون عاماً كشفت عن علاقة ما بين ٩ شباط و٩ نيسان ٢٠٠٣، وهي علاقة توالد وتراحم وانتساب، ولهذا، ومن دون مقدمات فضفاضة، أقول: إن حجر الأساس للعراق الأميركي وضع في يوم ٩ شباط ١٩٦٣، في أستوديو الإذاعة العراقية، ومرت الأربعـــون عاماً بمراحل وحكومات، وبأحـــزاب ورجال، قد لا يكونون شـــركاء في بناء العراق الأميركي، إنما هم شركاء في القضاء على العراق العراقي. وإذا كانت بعض المراحل التي حكم فيها القوميون العرب بنقائهم الناصري، ووطنيتهم العربية، مُدداً داخل هذه الأربعين عاماً، فمن المعروف أنهم لم يكونوا جزءاً ولا طرفاً ينافس المركز الأول المتمثل في حزب ٨ شباط و١٧ تموز، بزعامته التي برمجت الأوضاع

وهيـــأت الظروف لإنضاج وقيام العـــراق الأميركي. ربما تحدثنا عن تفاصيل العراق الأميركي من زوايا مختلفة، وبعفوية كما ترى، أما إذا كنت تبحث عن نبوءة للمســتقبل فلتقرأ في فنجان العراق الأميركي. إن العراق سيكون فيديرالياً وديموقراطياً، وقد غادر مرحلة تاريخية، وليــس لأي قوة سياســية أن تعيده إليها. لكني أفكــر دائماً بالخبرة السنية الهائلة في صناعة السلطة وإدارتها، ما يدفعني إلى مجاهرة الفئات العراقية الأخرى بضرورة ألا تتعامل مع السنة باعتبارهم رقماً سكانياً. وألا تخضع مشــاركتهم في السلطة إلى نسب رياضية، وألا يغتر طرف، لاسيما الشــيعة، بحجم التصويت الانتخابي؛ لأن السنّة قد يرون أنفســهم أمام وضع صعب فــي قبول حكم الغالبية المطلقة، وقد يتعرض العراق إلى الانقســام برغبة ســنية هــذه المرة، وليس برغبــة الدكتور أحمد الجلبي والســيد باقر ياســين في إقامة إقليم الجنوب قبل أوانه.

وتلــوح أمامــي خطوط لأفــكار قد تكــون الأطراف الســنية والإقليمية فكرت أو ســتفكر فيها، لتوســيع الجغرافيا السنية في الفيديراليات المقترحة، بضم مــا يتعارفون عليه بإقليم بغداد إلى هــذه الفيديرالية، وجعله يمتد إلى محافظــة ديالى حتى الحدود الإيرانية، فيما ترتبط ذراعه الغربية بالحدود السورية عبر الفلوجة والرمادي والقائم.

ولهذا ألاحظ أن عمليات التفجير والذبح تتركز في مناطق بغداد المختلطــة، حيث تقبل المناطــق المختلطة فكرة التحــول إلى مناطق

متجانســة أحادية مغلقة، وهو ما يســمونه الآن بالتطهير العرقي، أو المذهبي، فيما هو أقرب إلى «التقذير» منه إلى «الطهر والطهارة».

ومن شــأن عملية كهذه أن تنتهي إلى إقامة جدار سني عازل، من خانقين حتى الحدود السورية والأردنية.

أما توســيع جغرافيا الفيديرالية السنية فهو واضح في عمليات ذبح طائفي، تبدأ من اليوســفية والمحمودية واللطيفية والإسكندرية، إلى مشارف الحلة الشيعية، والمدائن، ومشارف الكوت، وقد لا تعترض أميركا على نتائج قد يحققها السيّافون بدلاً من السياسيين، والزرقاوي القادم من الجوار الإســرائيلي بدلاً من ديموقراطية كامل الجادرجي وحســين جميل وصديق شنشل وفائق الســامرائي، وسلامة الطوية للرئيس محمد عبدالرحمن عارف من قادة السنة في العراق.

لقد قيل في رســم الحدود العراقية مع الكويت والسعودية: إنها جــاءت بضربة قلم خاطفة من برســي كوكس، وأقول الآن: إن ضربة سيف خاطفة من الزرقاوي ستقطع العراق من طريبيل حتى خانقين. وبهذا يتخلص الســنة من حكم الأكثرية، ويتشــكل الخط العازل بين الشيعة والأكراد، بخط عازل لا شيعي ولا كردي.

في مثل هذه اللحظات، ينفجر سري وأشعر بعذاب داخلي، وأراجع حجم شراســتي ضد أفكار كان الســعوديون ورجالهم من العراقيين يطرحونها، لإنهاء صدام حسين بانقلاب عسكري تراعي فيه السلطة الجديدة التوازنات الطائفية.

لو اعتُمد الانقلاب لإســقاط صدام حسين لربح الشيعة والسنة، ولحشر قادة الانقلاب خمسة آلاف حزبي متورطين في جرائم إنسانية في معسكرات معزولة، وتركوهم يموتون عرياً من دون أن يتهمهم أحد بالطائفيــة، وكان يمكن لهذا الدور أن يقــوم به كثيرون ممن لم أتفق معهم كوفيق الســامرائي وإبراهيم الــداود وعبد الغني الراوي ونزار الخزرجي وعبدالأمير عبيس.

من كتاب «العراق الأميركي»

obeikandl.com

الخفاش الأسود

هتلر الساحات والسليط الساخر

سيرة ذاتية (بصياغته)

أخوكم حسن بن عمر بن مفتي صاحب ورئيس تحرير مدونة **الصعاليك**، كاتب شبحي قديم، تدثر بجناحي خفاشٍ أسود على مدى ثمانية أعوام، في دهاليز منتدى الساحة العربية قبل أن يعلن اعتزاله لظروفٍ أفصح عن بعضها على صدر صحيفة (الحياة)، وآثر دفن معظمها في أعماق نفسه.

شيخ الصعاليك هذا طلّق لقبه السابق طلاقاً بائناً، واعتنق الصعلكة كمذهبٍ صوفي قديم، يحث على الزهد والتقشف والصدق مع النفس والآخرين، وقطع الطريق بطبيعة الحال، ولكن على اللصوص وآكلي أموال الناس بالباطل، الذين يشار إليهم بالبنان، وكان الأجدر بأن يشار إليهم بفردة حذاءٍ أجلكم الله، مؤهله العلمي في ذلك غضب جامح، وشدة هائلة لو قسمت على أهل الأرض لوسعتهم، ولبقيت منها فضلة، مستمداً هذه الشدة من قول الحق جلّ وعلا ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ (الفتح: ٩٢).

obeikandl.com

عندما ظهر شـيخ الصعاليـك الخفاش الأسـود أحدث ظهوره ضجةً هائلةً كما قيل! واختلفت آراء المراقبين والمحللين والحشاشـين والحونشجية في توقيت هذا الظهور المريب، وفي الحكم على سحنة هـذا الوغد كما وصفني بذلك أحد رؤسـاء تحرير صحيفةٍ محليةٍ! فمـن قائـلٍ أدى دوره وأسـقط بضعة مطلوبين أمنيين في شـباك الحكومة! ومـن قائلٍ: ظهر بعد أن قبض الثمن سـيارة نقل (ونيت) محملةً بالحبحب والبطيخ، وطائفة قالت: طالب شهرةٍ موعود بزاويةٍ حـادةٍ، ورابعةً قالت: مريض متناقض بذيء، وخامسـة لطمت وبكت ومزقـت ثيابهـا واجتمعت خلف قبة سـامراء، عاويةً باسـم المهدي المنتظر، الأسـتاذ أبو الحسـن العسـكري، باعتبار الاسم الشخصي لمحدثكم فأنا (حسـن)، وهو أبو حسـن والدي يرحمه الله! وسادسة قالت فيّ ما لم يقله مالك في الخمر!

كنت أقـرأ تحاليل القوم، وأتصفح مختلف الصحائف السـوداء والرمادية عن طريق الشـبكة، وأرصد وأجمع وأضحك، أو أتمنى أن أرى سحنة الأخ الكاتب، هل هو إنسان يمشي على قائمتين، أم مخلوق آخر يمشي على أربع قوائم لا قدر الله!؟ إذ أن ما كتب فيّ يفتقد إلى الصدق والمنطق والموضوعية، لكنها أضغان القوم مارت في نفوسـهم كمور بركان فيزوفٍ بمدينة بومباي الإيطالية.

مـرّت بيّ مـدة كمونٍ ونقاهـةٍ وتحصينٍ ورسـمٍ للخطط ووضعٍ للإسـتراتيجيات، وأصابنـي الركود بالمرض والإرهـاق، وتلاعب بي الكسـل، حتى اختمرت الفكرة، وتجلى لي المبدأ، واتضح لي السبيل،

فكان الانعتاق والاعتناق، انعتقت من خفاشي الأثير، واعتنقت الصعلكة بعد بياتٍ شـــتويٍ طويلٍ في أوكار الخفافيش، مع الشـــكر الجزيل لها على احتضانها لي لعدةٍ ســـنواتٍ، وعدت إلى الشـــبكة والعود أحمد، لتســـليط الضوء على المشبوهين، ومزاحمة المفســـدين، وكتم أنفاس الحســـاد، والمساهمة ولو بكلمةٍ في نصيحةٍ صادقةٍ، أو شتيمةٍ فادحةٍ لمن يســـتحقها من أعداء الدين والوطن ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ (الأنفال: ٦٠).

obeikandl.com

قصة العشق والاعتزال!

ربما يكون الكاتب الإلكتروني حسن مفتي المحرض الأكبر للكتَّاب والصحافيين على نعت فرقائهم على «الإنترنت» بـ «خفافيش الظلام»، إذ كان مفتي - بحسب المعلومات المتوافرة - أول شخص أطلق على نفسه لقب «الخفاش الأسود» على الساحة السياسية، وراح يلسع ذات اليمين وذات الشمال، قبل أن يعتقله الجهاز الأمني في بلاده، ليعود كما يقر بنفسه أكثر إنصافاً ووسطية.

وفي حوار مع «الحياة» أعلن أنه قرر اعتزال منتدى «الساحات»، الذي عرف من خلاله كاتباً ساخراً، تدفعه العاطفة والرغبة في الانتقام والغيرة الدينية أحياناً، إلى مجاوزة الحد في نقد أشخاص وجهات عدة. على حد إقراره.

وأكد أن قرار اعتزاله لا رجعة عنه، وإن وثق بأنه سيفسر بحسب أهواء قرائه، «كما فسروا من قبل ثنائي على الحكومة بعد خروجي من السجن، وراحوا يرددون أنني عميل». واعتبر والدته وزوجته أول من سيفرح بهذا القرار الذي تكتّم عليه، ويعلنه للمرة الأولى عبر «الحياة».

وحول التجربة الجهادية التي سبق أن خاضها في أفغانستان نهاية التسعينيات من القرن الماضي، أكد أن الصورة المثالية لذلك الجهاد اهتزت في نفسه، عندما حاصرته كتيبة «حزب مسلم»، ومزق رصاصها أحشاء بعض زملائه، فيما نجا هو وآخرون بأعجوبة، «عند ذلك قلت: إن هذا ليس مكاني، فغادرت أفغانستان».

ومع إصرار العلماء السعوديين في ذلك العهد على إبقاء صورة «الجهاد الأفغاني» نقية في نفوس الجماهير، التي كانت تتبرع للمجاهدين بالبلايين، نذر حسن مفتي وقته لتوعية الناس في مساجد الرياض بالصورة الجديدة «السلبية» المغيّبة عنهم حول الجهاد الأفغاني، الذي كانت تضج كل المنابر آنذاك بتعداد كرامات رجاله!

واعتبر أن كل المحاولات التي أعقبت أفغانستان لم تكن بعيدة عنها، في البوسنة والشيشان وأفغانستان (الثانية) والعراق وغيرها، ولذلك لم أذهب ولا أعتقد أنني سأذهب للجهاد في أي موطن، بعد أن أدركت أن «السعوديين غير مرحَّب بهم في أي مكان يذهبون إليه، وأن الجهاد قائم في الجملة على مصالح شخصية وأهواء حزبية». وحول التجربتين «الإنترنتية والأفغانية» مزيد من التفاصيل في الحوار الآتي معه.

الاعتزال الصعب

بداية هل لـ «الخفاش الأسود» وحضوره في منتدى الساحة السياسية قصة؟

- «الخفاش الأسود» مجرد إنسان عادي يتوارى خلف هذا الاسم المستعار، وقد دفعتني للمشاركة في الإنترنت الرغبة في الدخول إلى هذا العالم واستكشافه، لأنه كان عالماً وهمياً بالنسبة إلينا في المملكة العربية السعودية، فخضت مواقع المحادثات كغيري، وكنت أعتقد في ذلك الوقت عام ١٩٩٩م أن الإنترنت محصور في هذا الجانب المظلم مع الأسف الشديد، ثم عرفت بعد ذلك أن هناك مواقع ومنتديات لتبادل الآراء السياسية وغيرها.

ما مدى تأثرك بمواقع المحادثات أو «الشات» كما يطلق عليه، هل تزوجت من خلاله، أو ساءت علاقتك بزوجتك، أو كنت متديناً، فأصبحت غير ذلك كما حدث لكثيرين ممن ولجوا إلى هذا العالم؟

- لا، لم يحدث لي شيء من هذا ولله الحمد، ولكن سلبيته كانت

obeikandl.com

بالنسبة إليّ في إضاعته لوقتي وعدم الجلوس مع الأهل والأولاد كما كان في السابق، حتى كدت بذلك أتعرض لسخط والدتي وفقدان زوجتي!

إلى أي شيء كنت متعطشاً أنت ومجموعتك؟

- بالنسبة إلي كان لدي شيء من الفضول لاستكشاف أي جديد، أما جانب الكتابة فكان في البداية شيئاً شخصياً أكتبه لنفسي في دفتر أو على غلاف كتاب أو ما شابه ذلك.

إذن متى اتخذت اسم «الخفاش الأسود» اسماً لك وأصبح يحتل موقعاً على الساحات؟

- عندما أدركت أن في الإنترنت عوالم أخرى أشمل وأوسع من عالم المحادثات الضيق، وهي المنتديات التي تناقش مختلف القضايا، قررت بلا تردد الانضمام إلى منتدى «الساحة العربية» وكان أول منتدى أتعرف عليه عن طريق الإنترنت.

هل انتقلت معك المجموعة التي ارتبطت بها في الشات؟

- لا، بل على العكس انقطعت علاقتي بهم، وبدأت في عالم جديد من الحرب مع الأشباح، وكنت في بداية الأمر شاركت بـ ٣٠ معرفاً!

ولكن لماذا اخترت اسم» الخفاش الأسود» بالتحديد؟

obeikandl.com

- في تلك المدة كانت الأسماء الحالمة والرومانسية تسود المنتديات، وبسبب نزعتي التمردية اخترت هذا الاسم عشوائياً؛ لأخالف النمط السائد.

يبدو أن هناك منظومة معينة تسير معها في نسق معين حتى قبل الساحة السياسية، فهل هم مجموعة من الأصدقاء أم الأقارب أم مجموعة من الأسماء المتكررة بـ «الخفاش الأسود»؟

- لا هذه ولا تلك، وإنما علاقات نشأت في المنتدى الذي كان أشبه ما يكون بالبيت الواحد، وكان بيننا نوع من التوافق في المنهج والأفكار من دون تنسيق مسبق!

من يطالع ملفك في الساحات يلاحظ أنك حتى عام ٢٠٠٥ لم تكن لك مشاركة واحدة في الساحة السياسية، وإنما كانت في الساحات الأدبية والطبية والكومبيوتر والأصدقاء، فما الأسباب؟

- (ضاحكاً) هذه معلومة استخباراتية، كنت أشارك ولكن باسم آخر بسبب غضب العائلة من تجاوزي للخطوط الحمر في مناقشة بعض القضايا، وهذا الاسم هو «مدعي عام المحكمة» ولم يمكث طويلاً حتى جاء بعده «قناص الصحراء» ثم اسم «الجبة والعمامة» ثم ما قبل الأخير «أنيس هتشكوك» ثم عدت لاسم «الخفاش الأسود» لأنه أول اسم عرفت به.

إذن غياب «الخفاش الأسود» في المرحلة المشار إليها كان تكتيكاً؟

- هذا صحيح، كما أن نزعتي في البداية لم تكن سياسية، ولكن بعض الأحداث تجبرك على التفاعل معها أحياناً بحكم أنك فرد في المجتمع تتأثر بما يتأثر به، وبداية دخولي للساحات كانت للتنفيس عن خواطري؛ حتى لا تظل حبيسة الدفاتر وأيضاً لتخضع للمشاركة، سواء كان بالقبول أم الرفض، ولكن مع الوقت وجدت نفسي شخصاً آخر!

في المدة المبكرة بعد عام ٢٠٠١م كنا نجد لك تعليقات رومانسية وعاطفية وقصص حب وأشياء من هذا القبيل، ما الذي انتزع «الخفاش الأسود» من هذا الواقع الذي كان يعكسه في السنوات الأولى؟

- لا يمكن للإنسان أن يعيش حلماً رومانسياً مدى الحياة؛ لأن الشأن الاجتماعي والسياسي أصبح يتغلغل داخل المجتمع من أقصاه إلى أقصاه، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، لا تستطيع مقاومته كثيراً، حتى تخرجك من البوتقة التي تريد أن تحصر نفسك فيها، رغماً عنك.

كيف تصف لنا هذا الميدان بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) لأن الساحة السياسية، ينظر

obeikandl.com

لهـا الكثيـرون علـى أنها المثـل الأعلـى للجناية خصوصـاً في ذلـك الوقت ضـد المجتمـع، وأنت تصنف نفسك معتدلاً؟

- من المؤســف أن تصل الأوضاع فــي المنتدى إلى هذه الدرجة، وأن يصــل بنا الأمر إلى حد تجريــد إخوة لنا من دينهــم ومعتقداتهم لمجرد أنهم أصدروا فتوى أو آراء تخالف أهواءنا، وبالنسبة إلي كان خطي واضحاً لا يميل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وكان اعتقادي وما أدين به لله أن تلك التصرفات تتنافى مع الشــريعة ولبها، وعندما بــدأت الأحداث الإرهابية في وطننا كان موقفي أنا وبعض زملائي واضحــاً، ضد العنف جملة وتفصيــلاً، وصرحت بهذا في أكثر من مقال.

إذا حصرنـا الحديـث في «الخفاش الأسـود» فما رأيه في الساحات نقصد «الساحات السياسية»؟

- هو منبر لا يستهان به مهما اختلفنا معه أو رفضنا بعض ممارساته، وله حضوره وتأثيره في المجتمع، ولا أستطيع أن أجزم بنوايا أصحاب الساحات، ولكنها في جملتها لم تكن ضد هذا الوطن في نظري.

مراحل وتحولات على الطريق

لندع الساحة جانباً ونأت إلى حسن مفتي أو «الخفاش الأسود» ما المراحل التي مر بها خطابك في الساحات؟

- المرحلة الأولى: كانت تتسم بعدم الموضوعية وتجاوز جميع الخطوط الحمر في مناقشة القضايا، والإسراف في نقد الدولة ونقد أشخاص معينين في كثير من الأمور التي كنت غير راض عنها، وللأسف لم يكن هناك من يوجه أو يقوم وإنما كان التصفيق والتأييد على أشدّه.

المرحلة الثانية: كانت بعد إلقاء القبض علي في غمرة العمليات الإرهابية، بسبب كتاباتي الانفعالية على الإنترنت، وإن كانت لا تتبنى فكراً معيناً، وتبين هذا في أثناء التحقيق معي، وتم التعامل معي بكل احترام وتقدير، وعندما نقلت هذا الجانب المشرق أنا وآخرون ممن تعرضوا لتجربتي نفسها إلى الساحة، كانت ردود الفعل في جملتها إيجابية، إلا أننا اتهمنا من بعض الناس بأن الدولة دفعت لنا ووظفتنا وبأننا عملاء.

obeikandl.com

على هذا التفكير، الذين يشتمون عملاء، لمن؟

- المنطق في كثير من الأحيان لا يحظى باحتفاء في المنتديات.

بأي شيء أفادك السجن حتى تؤرخ لمرحلتك الثانية بالخروج منه؟

- أولاً: أعطاني صورة جيدة عن المسؤولين في الدولة، ثانياً: قضى على جرثومة الخوف من دخول الزنازين لأي سبب كان، ثالثاً: أطلعني على مستوى الأزمة التي يمر بها الوطن، وما يحاك ضده ويتعرض له من أحداث خطرة، كذلك أشعرني السجن بمسؤولية نحو ما أكتب، لا سيما خطاب الأمير محمد بن نايف الذي وجه إلي عتاباً رقيقاً أخجلني كثيراً.

ولكن سرعان ما أذهب التصفيق في الساحة من جديد تأثرك بهذا الخطاب؟

- لا، لم يكن الأمر بهذه الصورة، ولكنني انقطعت عن الساحة بعد خروجي من السجن قرابة السنة، وعندما عدت كانت هناك أحداث أخرى ألهت الجميع عن الشأن الداخلي، كقضية العراق وأفغانستان وهي أحداث تدفع للحدة من دون شعور، كما أن تعاطي الأشخاص الذين نختلف معهم مثل التيار الليبرالي مع بعض القضايا، يدفعني شخصياً إلى استخدام ألفاظ أندم عليها فيما بعد وأتمنى لو لم أكتب مثلها، فمقالتي عن معرض الكتاب – مثلاً – ندمت عليها جداً وتمنيت لو تمكنت من إعادة صياغتها أو حذفها، بسبب بعدها عن الموضوعية والعدل!

ولماذا لم تقم بذلك؟

- أنا في الحقيقة بعدما نشرت المقالة وقرأها بعض أساتذتي اتصلوا بي ورؤوا أنها غير منصفة وكتبت بلغة عنيفة جانبت الصوت، وعلى الفور تأملتها، فوجدتها كما قالوا، فطلبت من مشـــرف المنتدى أن يحذفها، لكنه رفض بعد محاولات عدة، وذلك ما أغضبني وجعلني أصـــرف النظر عـــن الموضوع، وكان مما دار مـــن نقاش بيننا قولي لـــه: تتصرفون في حذف مقالاتنا أو تعديلها من دون الرجوع إلينا، وعندما نطلب ذلك نحن ترفضون، أي عدل هذا!.

obeikandl.com

الساحة مرحلة انتهت

سأترك للقراء تفسير هذا الموقف على طريقتهم، ولكن ماذا بعد؟

- ما بعد، هو أنني قررت الرحيل عن الساحات ليس بسبب الموقف الذي ذكرته لك آنفاً، ولكنني اليوم أعتقد أنني وصلت إلى مرحلة الوداع الأخير بعد أن كان التحول والتدرج نحو هذه الخطوة بدأ على قدم وساق منذ خروجي من السجن، أما الساحة فلها فضل لا أنكره ليس علي أنا وحدي، بل على الكثير من الكتاب، ولكن على الصعيد الشخصي أعطتني تطور الأسلوب والرفقة والزملاء الذين لا تقدر معرفتهم بثمن، وسلبت مني الكثير والكثير من الوقت والاستقرار العائلي ونمط التفكير والعيش بهدوء.

هل نستطيع الآن أن نقول: إن عهد الساحة ولى؟

- أتمنى أن يكون كذلك، لأنها سلبت مني وقتاً وتفكيراً بلا ثمن، فعلى مدار سبعة أعوام هي عمري في الساحة كنت أصحو وأنام على هاجسها، والنتيجة كانت الكثير من الخسائر بلا فوائد تساوي ما تعرضت له من معاناة!

obeikandl.com

هـل كان صـدور مجموعتك القصصيـة «انتحار حمار» خلف تصورك بأن السـاحة ليست الخيار الأنسب «لحسن مفتي» في المرحلة المقبلة؟

- لا يمكن أن أبقى حبيساً لاسم شبحي، فلابد أن أظهر وأعيش في النور كسـائر الناس، أما السـاحة فهي مرحلة انتهت، ولكن يبقى لها فضل علي في بعض الجوانب، ومن ضمنها تسـويق الكتاب، إلا أن التحدي الحقيقي هو في إثبات وجودي بعيداً عن السـاحة، إذ أرفض أن أختزل نفسي فيها.

هل تزامن صدور «انتحار حمار» مع كشف النقاب عـن حقيقة «الخفـاش»، بدافع فكرة مـا، أم جاء هكذا عرضاً؟

- بدأ اسمي الحقيقي يتردد بعد خروجي من السجن، ولكن بعد نشر الكتـاب كان لابد من الإعلان عن شـخصيتي؛ حتى لا أبقى خلف الستار ولأثبت حقي، وبالمناسبة أنا فكرت في استشارة اختصاصي للخـروج من هـذا العالم الوهمـي الافتراضي الـذي أعيش فيه (الإنترنت).

obeikandl.com

يد الصفح ممدودة لخصومي!

أنت الآن في معركة الخروج والانعتاق من هذا العالم، إذا نجحت، هل تعتقد أن العالم الخارجي سيقبل «الخفاش الأسود» الحقيقي، وقد شتم هذا وغمز ذاك... إلخ؟

- لا يعنيني العالم الخارجي بقدر ما يعنيني الرضا عن الذات، والعالم الخارجي إن كان موضوعياً، فسينظر لي نظرة موضوعية، لأنني ولله الحمد لا أحمل حقداً على أحد، وإن كانت مقالاتي حادة إلا أنّ حدتها تنتهي بانتهاء المقال، ولو قابلت خصمي في الشارع لما ترددت في السلام عليه طالما أن ديننا واحد!

وماذا عن زملاء الساحات والانعتاق منهم، وعن وسائل الإعلام التي من المفترض أن تعوضك عن ذلك العالم المليء بمغريات الحرية؟

- بالنسبة لزملاء الساحة، فهم على قسمين: قسم بيني وبينه أواصر معرفة خارج حدود الساحة، وهذه ستبقى مدى الحياة؛ لأنني أعتقد أنها بنيت على أسس موضوعية سليمة بعيدة عن

obeikandl.com

المصالح الشـــخصية والرغبات والأهواء، ولم تكن الســـاحة سوى مفتاح لها.

القســـم الثاني: شـــريحة لم ألتق بها وتُكن لي كل حب ومودة، فهذه أعتقد أنها ستتفهم الضغوط التي أعاني منها على الصعيد العائلي، كمـــا أننـــي أعتقد أنها إن كانـــت تريد لي الخير، فســـترحب بهذا الانسحاب، وستدعو لي بالتوفيق وربما تراجع هي أيضاً نفسها.

أما بالنســـبة للجانب الإعلامي فلا أســـتطيع التقـــويم؛ لأن هناك خلافاً بين عالم الأشباح الذي كنا نمثله على الساحات في الإنترنت وبين عالم الإعلام والصحافة الذي يمثله أشخاص معروفون، لأنهم ينظـــرون لنا نظرة ازدراء واحتقار، ومـــن وجهة نظري، فإن تعاطي أي جريدة أو مجلة مع أي كاتب «إنترنتي» بغض النظر عني أنا، هو أمر إيجابي فقد ترتقي به، وقد يفيدها هو أيضاً.

ودعت الأشباح؛ لأظهر باسمي وصورتي!

هـل أفهم مـن هذا أن اعتزالك السـاحة لا يعني اعتزالك الصحافة والكتابة؟

- بلا شـك، فقد ودعت عالم الأشـباح؛ لأظهر على الحقيقة باسمي وصورتـي، ولا يعني اعتزالي السـاحة اعتزالي للإعلام؛ لأنه عالم واسـع غير مختزل في المنتديات ولا فـي الصحافة الورقية، ومن ضمـن ما أدرسـه الآن إمكان إنشـاء موقع إخباري أشـرف عليه ويتعاطى مع كل المواضيع بمنتهى الشفافية والموضوعية.

دعنا الآن ننتقل إلى بعض الأفكار التي تروج لها فـي مقالاتك، يلاحظ أنـك تنتقد من يوصفون بالليبراليين، وسـط غض طـرف تام عن الطرف الآخر، لماذا؟

- أتفـق معك على أن العـدل أحياناً يغيب، إما لقصـور في النظر، أو لضغـوط معينـة، ولكنني مـع ذلك أنتقد أي طـرف أعتقد أن ممارساته مخالفة لما أعتقده من دون التفكير في انتمائه الإسلامي أو الليبرالي، والدليل على ذلك مقالتي عن صدام التي ابتعدت فيها

obeikandl.com

عن الرثاء والتباكي، وذلك ما جلب لي سخطاً كبيراً من القراء، حتى كاد (إيميلي) يتفجر احتجاجاً وغضباً.

الآن وبصراحة، «حسن مفتي» ماذا يحركه لهذه الكتابات، هل هو انبعاث شخصي أم توقع أن يجد هذا الكلام صدى غير منقطع؟

- أحياناً يكون انبعاثاً شخصياً مغلفاً بالغيرة الدينية، وأحياناً يكون انتصاراً للنفس، وهذا موجود وبكثرة في مقالاتي، ولا أنكر هذا، وفي النهاية الكاتب بشر، يكون موضوعياً تارة ويحتد ويخرج عن شعوره تارة أخرى، ولكن الدافع الأقوى في مواجهتي لأي فكر، سواء كان إسلامياً أو ليبرالياً هو دافع ديني، لأنني لا أجامل في مبادئي الأخلاقية، فضلاً عن مبادئي الدينية، وهي على كل حال مرحلة مضت إن شاء الله.

إذن، أنت لا تفضل أن تحاسب على المرحلة الماضية على اعتبار أنها مرحلة كنت فيها حاداً في ردود أفعالك، وتجاوزت فيها جميع الخطوط الحمر؟

- هذا صحيح، وإن أراد المجتمع أن يحاسبني، فأنا على أتم الاستعداد وأملك الشجاعة لأن أقر بأخطائي.

لو عاد «الخفاش الأسود» لعلمائه وأساتذته، هل كان سيكتب مثل ما كتب من قبل؟

obeikandl.com

- بالطبع لا، ولذلك وقعت في مآزق كثيرة بسبب الصدور عن رأيي وحدي، وهذا خطأ أتمنى أن يحذر منه الكتاب أو الشـــباب في كل الاتجاهات.

obeikandl.com

أفغانستان تجربة (خلابة)

ذُكر في سيرتك الذاتية أنك أحد من ذهب إلى أفغانستان قبل نهاية التسعينيات الميلادية، ما هي القصة؟

- التجربة الأفغانية تجربة خلابة، يصعب الحديث عنها واختزالها بعد مضي أكثر من عقد عليها، ولكن باختصار كان عمري حينها ١٨ عاماً وكنت طالباً في الصف الثاني الثانوي في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في عليشة، وكان المجتمع في تلك الحقبة عام ١٤٠٨هـ يعج بثقافة «الجهاد» المدعوم دولياً؛ لأن المعتدي كان نظاماً شيوعياً أحمق يرغب في فرض المبادئ الشيوعية على الجميع بالحديد والنار، قبل أن أذهب كنت أقرأ وأتابع مجلة الجهاد، والبنيان المرصوص التي كانت تتصدر أرفف المكتبات والبقالات، وخطب الجمعة التي كانت تتحدث عن الجهاد والمجاهدين، فقررت بعد الانتهاء من اختبارات نصف العام الذهاب لأفغانستان للجهاد بعد موافقة والدتي -يحفظها الله- تحت ضغط وإلحاح، وكانت الجبهات هناك تعج بالجماعات، فوقع اختياري على الشيخ جميل قبل أن أذهب، وبالفعل تم استقبالنا من جانبه في مطار إسلام

obeikandl.com

آباد، وأذكر أنني من شـــدة حماستي كدت أمزق جواز سفري، حتى تكون رحلة بلا عودة ولكن من رحمة الله تعالى أنني لم أفعل ذلك، بعد ذلك تم اســـتقبالنا في دار الضيافة هناك، ثم ذهبنا في اليوم المقبل إلى المعسكرات في كونار.

ما هو أول شيء تدربتم عليه؟

- في البداية يتم تدريبنا على اللياقة البدنية، واســـتخدام الأسلحة، وكيفية الدخول للجبهات، والحق يقال كان معســـكر الشـــيخ جميل مميـــزاً من حيث الانضباط والتدريب المتلازم مع العلم الشـــرعي، وكان حريصاً على عدم الدخول في نقاشات حول تكفير الحكام أو شيء من هذا القبيل.

وآخر ســـلاح تدربت عليه فرقتـــي، كان مدفع ٧٥ وهو مضاد للدروع، أما أنا فكان تركيزي على اســـتخدام الرشاش؛ لأنه السلاح المرافق لك دائماً هناك.

كم استغرق التدريب؟

- لـــم يدم طويلاً وأعتقد أنه اســـتمر قرابة الشـــهر، ثـــم انتقلنا من المعســـكر إلى الجبهة، ولكن في تلك المدة لـــم تكن هناك مواجهة، وإنما قصف متبادل بين مواقعنا ومواقع الشـــيوعيين؛ لأن المواجهة كانت تحتاج إلى تخطيط، وإعداد، وجهد مادي وبدني.

قلت هذا ليس مكاني!

وماذا بعد؟

- انتقلت بعد ذلك إلى المرحلة الثانية التي كانت مرحلة الرباط والترصد، وخدمة المجاهدين في الجبهة، وحفظ القرآن وتعليمه، وأكثر ما كنا نخشاه المنافقون، وبعدها قرب انتهاء الإجازة المدرسية عدت لإكمال دراستي، ولما أنهيت الاختبارات النهائية عدت إلى أفغانستان من جديد، ولكن ما إن وصلنا حتى بلغنا أن صدام احتل الكويت وأن أسامة بن لادن يستنفر الشباب للدفاع عن الوطن، فعدنا مباشرة مع من عاد، ولكننا لم نجد أي تنسيق فعاد كل منا إلى منزله، ولم أغادر المملكة إلا بعد انتهاء الأزمة، وعدتُ إلى أفغانستان وكانت المرة الأخيرة؛ لأننا حين عدنا كانت هناك فتنة بين الشيخ جميل -رحمه الله- وبين بعض قادة الجهاد في أفغانستان، وعلى رأسهم قلب الدين حكمت يار.

وكان من المؤسف أن نضطر إلى تحويل الأسلحة من مواجهة الشيوعيين إلى مواجهة مسلمين، وعندها وصلتُ إلى قناعة بأن هذا ليس مكاني، وكانت هناك مفاوضات لإخراج المجاهدين العرب

obeikandl.com

إلى باكستان، أو إلى جبهات أخرى أو إلى بلدانهم، وكنت ضمن أول مجموعة خرجت من أفغانستان إلى أوطانها، وقبل أن نخرج من الحصار كان الشيخ جميل قد قتل، وبعد تركنا أفغانستان بستة أشهر تقريباً سقطت كابول.

لماذا طابت نفسك بترك الجهاد في ذلك الوقت، وقد ذهبت في أشد الحماسة إليه؟

- لأنني كنت أخشى أن أدخل في فتنة أقتل فيها مسلماً، ولا شك أن مقتل الشيخ جميل أيضاً كان حدثاً جللاً، ولكن لأننا كنا محاصرين في الجبهة من جانب كتائب حكمت يار، ولكثرة القتلى بيننا ولشدة الضغط الذي نعيشه، استقبلنا خبر اغتياله ببرود.

وكيف انجلى الحصار؟

- انجلى الحصار بعملية صلح تدخل فيها السفير السعودي وبعض المشايخ وطلبة العلم وبعض المسؤولين في الأحزاب، كما سمعت أن أسامة بن لادن كان طرفاً فيها أيضاً، وكان الاتفاق على الانسحاب المبدئي للعرب، فوجدنا فرصة، وطلّقنا تلك الحقبة بالثلاث!

ولكن هذا موقف تعرض له الكثيرون، فبقوا حتى فتحت كابل وبعد ذلك... ما الذي دفعك إلى الخروج أنت... أهزمت نفسياً؟

- قررت الترك نهائياً، لأن الصورة المثالية للجهاد بالنسبة إليّ تغيرت، ولن تفلح أي صورة أخرى في إعادة رسمها، وحين عدنا كنا ننصح

من جانب المشايخ بعدم الحديث عما تعرضنا له هناك، حرصاً على جمع الصف، ولكنني في الحقيقة لم ألتزم بهذا، لأنني تعرضت لظلم، ورأيت أن توضيح الحق للناس واجب، فمضيت أخطب في المساجد، وأتحدث إلى الناس في المجالس، لأبين لهم أن الجهاد الأفغاني ليس مثالياً كما يتصور بعض الناس.

ألم يَرِدْ إلى ذهنك أنها مغادرة قد تكون فراراً من الزحف؟

- لا، فأنا لم أفر من الزحف، وإنما أجبرت على الانسحاب والخروج من الجبهة، وغادرت أفغانستان بالكلية، لمبرر معتبر شرعاً، وهو أن الجهاد الذي جئنا للقيام به ليس موجوداً على أرض الواقع، مصالح وحسابات، واغتيالات بين المسلمين!

وصلتَ السعودية، ثم ماذا؟

- نعم، وصلت، ولو مزقت جوازي كما هممت أن أفعل لكانت العودة شائكة، ولكني عدت بسهولة وأكملت دراستي، ثم قامت بعدها حرب البوسنة والهرسك، وكدت أذهب، ولكنني قابلت أحد الإخوة السابقين في أفغانستان، وكان عائداً من هناك، فقال لي: «أنصحك بعدم الذهاب؛ لأنك سترى في البوسنة أشد مما رأيته في أفغانستان» فاعتبرت بكلامه ولم أذهب. وبعد تخرجي في الثانوية تزوجت وأصبح لدي نوع من الاستقرار، وإن كان الخروج للقتال يلازم فكري من حين إلى آخر في ظل الجبهات المشتعلة في

obeikandl.com

الشيشـــان، والبوسنة، وكشـــمير إلا أن الإنسان كلما تقدم به العمر وازداد ارتباطـــا بالأســـرة والمجتمع أدرك أن هنـــاك جهاداً من نوع آخر، وربما كان أشد ضراوة من ذلك الجهاد.

هل يعني هذا أن الزواج يساعد على طرد هاجس الجهاد لدى الشباب؟

- لا شـــك في أن الزواج ســـكن واســـتقرار، وحين يلقى الإنسان من يسكن إليه يكون هذا مدعاة أكبر للاستقرار والبقاء!

ومـاذا عـن النفـسَ الجهـادي بعـد أحـداث ١١ سبتمبر؟

- بعـــد أحداث ١١ ســـبتمبر كنت أنصح من يأتي لاستشـــارتي بعدم الذهاب؛ شـــفقة عليه من بطـــش الرد الأميركي على أفغانســـتان بسبب ضرب أبراجها.

وبعد غزو العراق؟

- أعتقـــد أن الوضع في العراق أعقـــد بكثير، لأن المواجهة فيه كانت واضحة، وكانـــت هناك تهديدات مبكرة وتحضير، وكنت أنصح من يستشـــيرني بعدم الذهاب أيضاً، وقلت هذا في الساحات وبعضهم رماني بالتثبيط.

بمـا أن فكـرة الجهـاد مـا زالـت قائمـة، ولكنهـا محاطـة بالضبابية... لمـاذا لا يزال بعض الناس ينقر فوق هذا الجرس؟

obeikandl.com

- مــن يدّعون الجهاد علــى فريقين: فريق يتهم المؤسســات الدينية الإســلامية بالقصور فــي نصرة قضايا الأمة ولــو ببيان، وبالتالي يــرى أن عليه نصرة هذه القضايا بالخــروج للقتال، وآخر يرى أن المسلمين نالوا من الذل والقهر والقتل ما نالوا، فيحمل سلاحه ليس من أجل الموت في سبيل الله، ولكن للانتقام من الغزاة، وهناك من ذهب إلى العراق – مثلاً – زاعماً أنه يجاهد وهو لا يصلي!

التحريــض على الجهاد بهذه الصورة دفع بكثير مــن المتحمســين إلــى التخريــب فــي أوطانهــم، والقيــام بالعمليــات الإرهابيــة، بصفتك عشــت هــذه التجربة ورأيــت عدم جدواهــا... كيف ترى إمكان التوفيق في هذا الأمر؟

- الإشــكالية أن قناعاتك أو قناعات الشــيخ أو المربي لا تستطيع أن تغير شــيئاً أمام ســيل العاطفة لدى بعض الناس، وفي واقع الأمر يصعب على الإنســان الذي يشــاهد المذابح علــى التلفاز وتمريغ الكرامة في سجن أبو غريب أن يتعامل بعقل.

أفغانستان أصبحت عاراً يلاحقنا!

كنت شخصاً له تجربة جهادية... كيف تنظر للأحداث الإرهابية التي بدأت ولم تنته بعد في السعودية؟

- بالنسبة إليّ أنا ضد العنف جملة وتفصيلاً، وبخاصة ما كان على أرض الوطن، لا سيما أن عندنا من المشكلات ما يغنينا عن فتح باب آخر لها، كما أنه ذهب في هذه العمليات أشخاص مسلمون، فضلاً عن الأجانب المستأمنين والمعاهدين، إضافة إلى تزعزع الأمن في البلاد، وبلا شك كان لها أثر سلبي من حيث إساءة هذه العمليات للجهاد في حد ذاته، وللمجاهدين السابقين، ولأفغانستان التي أصبحت عاراً يتبرأ منه الجميع.

إذن... هل تعتقد أن السفر إلى خارج البلاد لأي جهة كانت بدافع الجهاد فكرة غير مناسبة؟

- ما رأيناه حتى الساعة يثبت أنها تجارب فاشلة، والإشكالية أن الوجود السعودي الجهادي بالذات غير مرحب به إطلاقاً، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا الكلام.

obeikandl.com

إذن فلماذا الإصرار على هذه الفكرة مع أنها أثبتت فشلها كما قلت؟

- لأن هذا نوع من اتباع رغبات النفس التي لا ينفك عنها الإنسان حتى يقتل، أو يشحن إلى إحدى المعتقلات!

ما دعوتك لشباب الوطن، وأنت أحد الذين سبقوهم إلى الجهاد؟

- أنا أدعو أي إنسان قبل أن يغامر أن يتقي الله في نفسه أولاً، ثم في أهل بيته من والدين وزوجة وأولاد ثانياً، ثم يتقي الله في وطنه ولا يأخذ المسألة بعاطفة أو هوى.

هل تتوقع أن تخرج من المملكة في يوم من الأيام للجهاد مرة أخرى بعد التجارب الماضية؟

- لكل قضية أركانها وأبعادها، وفي الوقت الحاضر هذه الفكرة لا تراودني بتاتاً؛ لأنني أعتقد أن العمل الخيري أو الدعوي، أو الجهادي غير محصور في القتال، فهو عمل واسع المجالات في الدين.

قراري غير خاضع للمساومة

أدرك أن خبـــر اعتزالي الســـاحة ســـيكون وقعه صعبـــاً وحاملاً لتفسيرات سيئة لدى بعض الزملاء في المنتدى الذي كنت أكتب فيه، إلا أن فرح والدتي وزوجتي به وقناعتي به ســـيعوضني عن أي جفاء قد أتعرض إليه.

والذي أتوقعه أن ردود أفعال الناس ســـتتباين بحســـب أخلاقهم وأفكارهم، وســـتكون هناك اتهامات، وقبول ورفض، وبالنسبة إليّ لا أخشى من رد فعل أحد، ليس في الساحة فقط، بل حتى في المجتمع؛ لأن هذا قرار شـــخصي اتخذته بعد تفكير طويل ومراقبة ودفع ثمن تلك الكتابات التي خسرت بها الكثير والكثير. وفي كل الأحوال، هذه قناعتي وليســـت خاضعة للمساومة أو لإغراء الآخرين، ومن يعرفني عن كثب فسيدرك أنني لا أغير قناعاتي لإرضاء الناس.

أما رسالتي الأخيرة لكُتاب الإنترنت فهي: ينبغي على الإنسان ألا يقوّم الأشـــخاص وفق موقف يراه أو يتخذه، وألا يتهم أحداً في نيته أو مبادئه أو عقيدته، بســـبب وجهـــة نظر يتبناها، ولكن ينبغي تغليب جانب حســـن الظن بالناس دائماً. وثانياً: أقول للإخوة كُتاب الساحة

obeikandl.com

ينبغـــي التعاطي بموضوعية مـــع الأحداث، وعدم التســـرع، وضبط النفس، وتقوى اللـــه تعالى في إصدار الأحكام، والجانب الأهم الذي نغفل عنه جميعاً هو جانب محاسبة النفس، لذلك ينبغي أن يكون لدى الإنســـان أرشيف يحوي جميع كتاباته؛ حتى يعود إليها من الحين إلى الآخر ويقوّم نفســـه، فإن كان على صـــواب عزّزه، وإن كان على خطأ أو تقصيـــر، وهو الغالب فليحاول أن يصحح هذا الخطأ أو التقصير. (وقد حدث ما توقع).

obeikandl.com